8me Année No. 366

Lundi - 8 - 7 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهرس

على ماهر باشا



الآن وقد انفكَّ عن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا سلطان الحكمين: المدنى والعسكرى، وأصبحت الكلمة فيه للحق الخالص الذى لا يرغب ولا يرهب ولا يجامل، نحاول أن نرسم هنا ظلال الرأى الذى ارتأيناه فيه على قدر ما تسمح به حال الصحفى الأدبى الذى يواكب من جانب ويراقب من بُعْد، ولا يتصل بأولى الحكم اتصال دعاية، ولا بذوى الرأى اتصال مشايعة

لم أر على ماهر باشا فيما مضى من حياتى غير مرة واحدة منذ عشرين سنة فى مطبعة الاعتماد حيث كان يطبع كتاباً فى القانون وأنا أطبع كتاباً فى الأدب . وعلى الرغم من جلوسنا ساعة من النهار جنباً لجنب فى ذلك المكان الخشن الضيق الذى

كان يجمع يومئذ بين مكتب الإدارة وصناديق الحروف، لم نتناول غير النظر الفارغ، لأنه على ما يظهر من نفسه رزين متحفظ، وأنا على ما أعرف من نفسى حيى متقبض

وتولى على ماهر باشا الحكم فكان لكل أديب ولكل صحفى من رعايته عون على الجهاد والاجتهاد إلا (الرسالة)، فقد عاقبها وقسا عليها فى العقاب حتى لم تنل فى عهده من المعارف والداخلية إلا شيئاً يشبه الظلم إن لم يكنه. فأنا حين أكتب عنه لم أجد فى نفسىَ منه إلا ما يجده المصرى الفلاح أو العامل من أثر الرجل الحكومى فى عمله، ومن نتيجة العمل العمومى فى حياته. وألذ الأشياء فى ذوق الضمير أن تشهد شهادة الصدق فى رجل لا تربطك به علاقة من العلائق الحريرية أو الحديدية

* * *

على ماهر باشا رجل هيأته طبيعته وعقليته وعمله للموقف الجلّى فى عهدنا المستقل الحر. تولى رياسة الحكومة فى وزارة المائة يوم فكان مثلاً عالياً للحكم الناسب فى النشاط الشامل والتوجيه البصير والإصلاح المبتكر والنزاهة المكنة. وكان النيب فى هذه المدة قد تكشّف عن طور من أطوار العرش والدستور لا يؤمَن فيه الضلال على غير الإرادة الحازمة الرشيدة، فكان من توفيق الله أن تقلد الأمر هذا الرجل العظيم فى تلك الساعة العصيبة فساسه على نهج واضح مأمون من اللقانة والأمانة والقدرة

ثم عاد فتولى الحكم حين أخذت العالمَ كله هذه الرجفةُ النازية الكبرى، فسحقت الجيوش، وثلت العروش، وغيرت وجوه الأرض، ونقضت أحكام الناس، وقلبت أوضاع المجتمع، وأصاب مصرَ منها ما لم تره فى عمرها الحفيل الطويل، فصرّف الأمور فى هذه العاصفة الراجفة بالذهن الثاقب المحتال، والرأى الجميع الموفّق، واليد القادرة الحازمة، والسياسة المتيقّظة المستبصرة، والخطة الصريحة الجريئة، حتى اطمأن الناس إلى مصاير الأزمة، وأمِنوا شر العاقبة

فأنت ترى أن اختيار القدر لهذا الرجل فى هاتين المحنتين من غير سعيه ولا استشرافه لا بد أن يكون لسر من أسرار الطبيعة فيه تعلنه عند إعضال الأمر أو استفحاله

والواقع المأنوس أن على ماهر باشا فذٌّ بين ساسة هذا البلد فى وسيلته وغايته وحكمه؛ فهو لا يعتمد فى ولايته على عصبية الأحزاب المتغالبة، ولم يجر فى حكمه على نمطية الوزارات المتعاقبة، ولم يجعل همه أن يدغدغ جسمه فى كرسى الوزارة المخملى الوثير؛ وإنما بلغ الزعامة بالكفاية المحض، وعالج الحكم بالتدبير المبتدَع، وسما بنفسه عن سفساف الأمور ومحاقر الأغراضِ، وألقى باله للكبيرة والصغيرة، وأخلص رأيه للحميم والخصيم، وتعهد الأداة الحكومية فى أوضاعها المختلفة ومواضعها المتعددة فجلا عنها الصدأ وعالج فيها الاضطراب، حتى نشطت لعملها الدائب فى اطراد واتساق ووحدة

ومن مزايا على ماهر باشا أنه رجل قانون ومنطق. وصاحب القانون يغلب عليه العدل والمساواة وهما روح الحكم؛ وصاحب المنطق يغلب عليه الرأى والشورة وهما أصل الدستور. لذلك تهيأت له الفرص النوادر للاستبداد فأبى أن يعمل إلا على هَدْى طبعه ووحى ضميره

لقد كان موقف صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من سياسة الحليفة العظيمة موقفاً يتمناه كل زعيم عظيم بما بقى من عمره. ولولا أن حليفتنا الكريمة لا تزال تجرى فى سياستها الشرقية على موروث من سوء الظن لوجدت فى ماهر باشا أصدق حليف وأوفى معاهد يسلها من أخلاق قومه ما تجهل، وينيلها من عواطف شعبه ما تريد. ولكنها أتاحت بهذا الموقف الأخير لعلى ماهر باشا أن ينقش فى ذاكرة الزمان الواعى أنبل ما صدر عن وطنيته وعبقريته من البراعة والشجاعة والإخلاص لوطنه ومليكه

* * *

لقد رفع ماهر باشا مستوى الحكم وأعلى مثَله. ومن البعيد أن ينزل خَلفُه عنه أو يترخص فيه؛ ولكن الاضطلاع به والمحافظة عليه فى هذه الزلزلة العامة من المشقات التى تُمتحن بها أقدار الرجال. ويقيننا أن الروح المصرية التى انتعشت فى على ماهر وإخوانه الذين اعتزلوا الحكم، ستشيع فى ساستنا الذين خَلَفوهم عليه، فتميت فى أذهانهم معانى الفردية والحزبية، وتدفعهم متكاتفين إلى إنقاذ الوطن عن طريق الجهاد والإيثار والتضحية

إن القدر المتصرف يخطط اليومَ الممالك على نظام جديد. والإيمان وحده هو الذى يملك على القدر اللطف فى التغيير. فآمنوا يا رجال الساعة بقدرة الله وقوة الحق وقيمة الحرية وسلطة التاريخ وعظمة مصر، فإن الإيمان ولا ريب دِرع الأمان

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أوهام أدبية تخلقها الحوادث — أسرار الجزع على باريس — الأدب هو سفيرنا فى الشرق — الهجرة إلى الريف — ابدأ بنفسك — الأحزاب السياسية والأدبية

أوهام أدبية تخلقها الحوادث

للحوادث العنيفة تأثيرٌ شديد فى تلوين الحقائق والأباطيل ، وفى خلق الآراء والأضاليل ... والمرء حين تصدمه الحوادث ، يتلفت ليرى كيف صار إلى ما صار إليه من بؤس وشقاء ، وكيف استهدف للمعاطب وتعرّض للأرزاء ، وذلك هو الفرق بين اليقظ والغافل من الرجال . وحكاية « السمكات الثلاث » فى كتاب « كليلة ودمنة » تؤيد هذا الرأى ، إن كان يفتقر إلى تأييد

أقول هذا ، وقد قرأت فى هذه الأيام كلمات نفيسة لجماعة من أدبائنا فى تعليل الهزيمة التى مُنيتْ بها فرنسا ، وهم يكادون يُجمعون على أن تلك الهزيمة ترجع إلى ما درَج عليه الفرنسيون بعد انتصارهم فى الحرب الماضية من إيثار الدّعة والسلامة والإقبال على الخلاعة والمجون

والأدباء الذين قالوا هـذه الكلمات لم يقولوها إلا لغرض شريف ، هو تحذير أممهم من عواقب البطالة والفراغ ، وما ثَمّ الترف واللين . والأديب ينتهز الفُرص ليضرب لأمته الأمثال

ولكن تلك الكلمات النفيسة وقعتْ فيها أغلاط تستوجب التصحيح

فهل من الحق أن فرنسا كانت فسقتْ عن أوامر الأخلاق ؟

هل من الحق أن باريس لم تكن إلا ملاعب صبابة ومدارج فُتُون ؟ هل من الحق أن الأندية الفرنسية لم تكن تعرف غير قول السوء ولغو الحديث ؟

تلك أوهام يقول بها من لم يعش فى فرنسا زمناً يسمح بالتعرف إلى أخلاق أولئك الناس ، ليدرك المستور من شمائلهم الصّحاح .

تلك أوهام يقول بها من يعرف فرنسا بالسماع لا بالعِيان

ولو كانت فرنسا كما وصفوا ، لكان من المستحيل أن تملك السيطرة الأدبية والحربية فى تلك الأزمان الطوال التى سبقت محنتها الدامية فى هذه الأيام السود

إن الخُلُق الفرنسى نموذجٌ للخلُق الصحيح ، فالرجل الفرنسى يلعب فى حين ، ويجدُّ فى أحيان ، وهو فى لعبه وجِدّه مثالٌ للرجل الذى تنأى به رجولتُه عن اصطناع أخلاق الضعفاء الذين يرون سلامتهم فى التستر والتصنع والرياء

والأدب الفرنسى هو فى جوهره صورة صحيحة للأدب الإنسانى، لأنه ينزع إلى الصدق فى تصوير ما تخضع له الإنسانية من قوة وضعف ، ويقين وارتياب ، وهدًى وضلال

وإذا اندحرت فرنسا السياسية فلن تندحر فرنسا الأدبية

ولو صدقت فرنسا فى السياسة كما صدقت فى الأدب لكانت هزيمتها من المستحيلات . وقد قلت فى مقال قدمته لمجلة الهلال إنى أنتظر اليوم الذى تسمح فيه الظروف بأن أعلل هزيمة فرنسا السياسية

فهل أجد اليوم منفذاً لكلمة وجيزة بعد أن استباح المسيو بيتان ما استباح فى تعليل تلك الهزيمة النّكراء ؟

إن المسيو بيتان ردّ أسباب الهزيمة إلى ما تخلّق به الشعب الفرنسى بعد الانتصار فى الحرب الماضية من إيثار المرَح على التضحية وتقديم الحقوق على الواجبات

فما الذى يمنع من تصحيح رأى المسيو بيتان ؟

ما الذى يمنع من القول بأن ساسة فرنسا كانوا أضعف بصراً من ساسة الألمان ؟

إن السياسىّ الألمانى قدّم لجنوده قضية تستوجب الاستقتال

فهل قدّم السياسى الفرنسى لجنوده قضية تستوجب الاستقتال ؟

قال السياسى الألمانى لجنوده : أنتم جِياع ويجب أن تقاتلوا لتجدوا القوت

أما السياسى الفرنسى فقال لجنوده : هَلُمُّوا للدفاع عن الشعوب الصغيرة

وكذلك شبّت الحرب بين جنديين أحدهما جائع موتور ، والثانى شبعان ريّان يتكلف الغيرة على مبدأ لا يفقه ما يعبِّر عنه من ألفاظ وحروف

فإلى متى تؤذون شعوبكم بلا موجب أيها الساسة « المحنّكون » ؟

لو أعلن ساسة فرنسا أنهم يدافعون عن بلادهم ومستعمراتهم لاستبسل الجندى الفرنسى واستمات ، لأنه عندئذ يعرف أنه يدافع عن الشرف والقوت ؛ ولكنهم ساقوه إلى الميادين لاعتبارات

مثالية لا تثير النخوة فى أشجع الجنود

وقد قال الفرنسيون ما قالوا فى غدر ملك البلجيك ، وفات ساستهم أن الوقوف على الحدود كان أنفع وأمنع ، ولو فعلوا ذلك لكان من الجائز أن يتغير مصير الحرب ، ولكان من المحقق أن يستبقوا من الجيش قوة يدفعون بها شر العدو المجتاح

ولكن من الذى يملك القدرة على توجيه آراء الساسة والزعماء؟

أما بعد فلهذا الحديث حواش وذيول سنعرض لها بالتفصيل بعد حين

والمهم هو تذكير بعض الأدباء بحق الأدب ، فما نريد أن نخضع الأدب لأى اعتبار من الاعتبارات ، وإن كان من واجبه أن يتعرض لجميع الشؤون

الأدب لا يزدهر إلا إذا تحرر من جميع القيود

الأدب هو الترجمان الصادق للغرائز الإنسانية ، ولا يجوز أن نطالب الأديب بأن يكون عبداً لزمانه وأهل زمانه ، وإنما يجب أن يسيطر الأديب على الزمان وأهل الزمان ليؤدى رسالته فى قوة وصراحة وإخلاص

الأديب أقوى من الناس ومن الزمان ، وإنه لا يصور غاية زمنية أو محلية ، وإنما يتسامى إلى غايات تشرف على طوائف الإنسانية ومراحل التاريخ

ليس الأديب مزماراً مأجوراً يترنم بما توحى أحوالكم من أطراب وأشجان ، وإنما هو قيثارة سماوية يحق لها أن تصدح بغير ما تشتهون فى أيام الفرح وما تبتغون فى أيام البكاء ، وإن كانت أخوّته لكم تفرض عليه أن يكون سناداً لآمالكم فى جميع الأحايين

ألحان الأديب كأزهار الربيع

فإن كنتم سمعتم أن أزاهير التفاح فى نورمنديا تلفتت إلى المعارك الدموية بين الفرنسيين والألمان فانتظروا أن يكف الأدباء عن التغريد فوق أفنان الوجود ، لأن دنيا كم عجزت عن تذوق المرح الذى يتموج فى أعطاف الوجود

أيها الناس

اسمعوا ، وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

الأديب يسيطر على الحوادث ، ويرفض الاستعباد للحوادث . والأديب أشجع منكم جميعاً لأنه لا يبالى متى يموت . وهل نسيتم أن الأديب هو الذى صنع بقلبه ولسانه وقلمه حوادث التاريخ ؟

ستذكرون يوماً أن أعظم المعارك قامت أو كسبت بسبب لفتة ذوقية صدرت عن شاعر مجيد أو كاتب بليغ أو خطيب صداح . وستعرفون يوماً أن ضمائر الأمم لم تخلقها غير أفكار الأدباء الموهوبين .

الأديب ليس جنديا يتلقى الأوامر ، وإنما هو بطل يطاع . فليكف قوم عن التنديد بأهل الأدب ، وليذكروا أنهم لم يكونوا إلا حاكين لأقوال أهل الأدب فى الوطنية . ولولا أقلامنا لعجز أولئك اللاغون عن صياغة عبارات الملام

أسرار الجزع على باريس

وبهذه المناسبة أذكر أن فى أهل مصر من شكت جفونهم قسوة الأرق حين سمعوا بسقوط باريس بين أيدى الألمان

فبأى حق جزع الجازعون على باريس وهى المدينة الوحيدة التى يموت فيها الرجل من الجوع حين يعوزه القوت ؟

جزع المصريون على باريس وليس لهم فيها أعمام ولا أخوال ، لأنهم سمعوا أنها كانت مثابة للحرية الفكرية والروحية والذوقية .

جزعوا على مدينة سمعوا أن أهلها فى أمان من أوزار النفاق .

جزعوا على المدينة التى سمعوا أن الرجل قد يعيش فيها طول عمره بدون أن يتعرض للهوان ما دام معتصما بالأدب والحياء

وتلك معان لم يسمع عنها الناس فى غير باريس

وإلا ففى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو فى أمان من أهل اللغو والفضول ؟

فى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو من أدبه فى حصن حصين ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى لا يجازَى فيه الرجل بغير ما تجترح يداه

الرجل المهذب يعيش ويموت فى باريس بدون أن تتعرض سمعته للزور والبهتان

فمن أين نشأت هذه المعانى ؟

أليست من ثمرات الأدب الرفيع ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى يتجاور فيه حزب الله وحزب الشيطان بلا بغى ولا عدوان . باريس هى البلد الذى لا يتقدم فيه رجل بغير حق إلا فى النادر القليل

فى باريس يقوم الملعب بجانب الكنيسة ، ثم يلتقى اللاعبون والمصلون وهم يتبادلون تحيات المودة والاحترام

فإن كانت باريس ضيمت بجناية الأدب والذوق فهى ضحية كريمة للأدب والذوق

وهل يكون الانتصار فى الغزو دلالة باقية على شرف المغيرين ؟

إن كان ذلك فهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر التتار على بغداد ؟ وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر أعداء العرب على إطفاء نور الحضارة الإسلامية بالأندلس ؟

وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينجح نيرون فى إحراق ذخائر الرومان ؟

المعانى الروحية والأدبية هى الباقيات على وجه التاريخ .

فمن كان يرى الفضل كل الفضل فى أن ينتصر جيش على جيش بقوة النار والحديد فستريه الأيام عواقب ما رأى فكره المنخوب ، والزمن كفيل برفع الغشاوة عن بعض القلوب

الأدب هو سفيرنا فى الشرق

ويتحدث قوم عن صوت مصر فى الشرق ، وأقول إن الأدب هو سفيرنا فى الشرق ، ولكن أىّ أدب ؟

هو الأدب الرفيع الذى يشرّح جميع الأهواء الإنسانية بحيث يشعر كل امرئ فى الشرق أن له نصيباً من العواطف التى يهتف بها أدباء وادى النيل

ولست بهذا القول أعادى أنصار الفكرة المصرية الذين يرون أن تكون مصر مثابة أفكارهم فيا ينظمون ويكتبون ، فمن حق المصرى أن يجعل مصر قبلة هواه ، ولكن من واجبه وهو أديب أن يذكر أنه أديب ، والأديب أعظم وأرفع من أن يقصر أهواءه على الشؤون المحلية . الأديب المصرىّ مسئول عن الطب لأدواء مَن وثقوا به من أهل الشرق . الأديب المصرىّ مطالَب بأن يكون صوته صدًى لجميع آمال الشرق ، ولجميع آلام الشرق . الأديب المصرىّ هو الآسى لجروح الشرق ، وهو القيثارة التى تصدح بأفراح الشرق

وهذا واجب كفاية ـ كما يقول الفقهاء ـ فلست أطالب كل أديب بأن تكون نوازعه شرقية ، وإنما أستنكر أن يعاب على رجل مثلى أن تكون له سياسة أدبية تتجه نحو الشرق ، ولمصر فى الشرق أهلٌ وأصدقاء

والواقع أنى أتهم قومى بلا موجب ، فأدباء مصر جميعاً يضمرون أصدق العواطف للشرق ، ولكن يُعوزهم التعبير المقبول ، فهم يُوهمون قراءهم أنهم لا يعرفون غير مصر ،

ولو نطقت الضمائر لقالت إن عواطف أدباء مصر لم تكن إلا جوارح تحسُّ آلام الشرق

وهل يلام أدباؤنا على إعلان هواهم لمصر فى أوقات الشدائد والخطوب ؟ نحن نغار على مصر لغرضين : لأنها مصر ، ولأنها مفتاح الشرق . فإن أمدّنا الله بالقوة والعافية والتوفيق فسنجعل من مصر قاعدة حربية تدفع عدوان الغرب على الشرق

آه ثم آه ! !

إنى أخاف طغيان الحوادث على مصير اللغة العربية ، وعلى العقيدة الإسلامية . وأنا مع ذلك غير يائس ، لأن مصر باقية ، ولأن الشرق لن يزول . والله هو المستعان ، على مكاره هذا الزمان

الهجرة الى الريف

الهجرة فى أصلها اللغوىّ تدلّ على معنى المَشقّة ، فهى تشهد بأن المُهاجر ينتقل من حال الاستقرار إلى حال القلَق ، فهل يكون الأمر كذلك فى الانتقال من المدن إلى الأرياف ؟

أعترف مع الأسف بأن الأمر صار كذلك ، لأننا بالغنا فى تجميل الحواضر المصرية مبالغة مُرهقة ، بحيث صار المسكن الواحد يتكلف من الماء والنور ما يكفى لتموين أسرتين من أهل الريف . وقد زادت الأمور الكمالية زيادة لا تطاق ، ثم أمست تلك الكماليات وهى من الضروريات . فنحن اليوم بفضل الحضارة فى شقاء وعناء

وكنت لأول عهدى بحياة القاهرة أعيش عيشة بسيطة ، فلم أكن أشعر بفوارق كثيرة حين أنتقل لقضاء الصيف فى الريف . ثم تحضّرت رُويداً رويداً إلى أن صرت لا أستطيع قضاء ليلة واحدة بمنزلنا القديم فى سنتريس . ولولا الأموال التى خاطرت بتبديدها فى بناء منزل جديد هناك لكان من المسير أن « أهاجر » من وقت إلى وقت لزيارة أهلى

الحق أن الحواضر المصرية شلّت قدرتنا على الأُنس بالريف . فالأنهار الجارية فى الأرياف لا تغنينا عن صنابير المياه التى تنتم بها فى الحجرات والغرفات . والقمر الذى يسطع بأنواره الفضية فى سهول الريف لا ينسينا جاذبية النور الذى نتلقاه عن مصابيح الكهرباء . ومن هنا صح القول بأن الذهاب إلى الريف هجرةٌ فيها ما فيها من القسوة والعنف . فهل تكون هذه « الهجرة » فرصةً للتداوى من أمراض المدنية ؟

إن كنتم سمعتم أن الترف يقتل الممالك والشعوب فقد آن الأوان لشرح تلك النظرية . فالحضرى الذى يعجز عن المبيت بديار الريف هو أعجز الناس عن تحمُّل العيش فى ميادين القتال

ولو شئت لاقترحتُ أن يُمنع النوم فوق الأسرَّة فى المعسكرات حتى لا يعرف الجنود طعم اللين . فمن الصعب على من تعوَّد النوم فوق الحشايا أن يفترش الأرض الصمّاء حين تقهره على ذلك ظروف الهيْجاء

يرحم الله أيامى حين كنت فلاحاً لا يؤذيه النوم فوق الأرض الجرداء !

فقد وَقَذتنى الحضارة وأضرعتنى حتى صارت جُنُوبى لا تطمئن إلا إلى حشايا تُنَجَّد فى العام الواحد مرتين أو مرات، وذلك داء عُضال

لا فائدة من الندم على ما فات . ثم أوجِّه الكلام إلى أولئك المهاجرين فأقول :

أنتم تفِدون على أقوام تحصنوا بالقناعة، فما يعرفون من ألوان الطعام غير لون أو لونين ، فلا تفتنوهم برؤية الموائد المثقلة بأطايب الطعام والشراب ، ولا تحملوهم على أن ينظروا إليكم نظر المحروم إلى المطعوم . فلذلك عواقب يخشاها من تهمهم سلامة القلوب فى الريف

أنتم تفِدون على أقوام لا يملك الشخص منهم غير ثوب أو ثوبين ، فلا تفتنوهم بكثرة الأثواب ، ولا تشعروهم بأنكم أقدر منهم على الزينة ، فلذلك آثام ستسوؤكم أوزارها بعد حين

وما الموجب لأن يتخطَّر بعض الشبان « المهاجرين » فوق شطوط الجداول وقد لبسوا « البيجامات » وتركوا رؤوسهم العارية تداعب النسيم بالشعر المعطَّر المشكول ؟

ألا يعرف هؤلاء الشبان أن أهل الريف لن يلقوهم بغير السخرية والازدراء ؟

يجب أن تعيش فى الريف بأخلاق أهل الريف، فتحلق رأسك وتكتفى فى مطعمك وملبسك بما يتسق مع المأثور من شمائل أولئك الناس ، فإن خالفت هذه الوصية فلست أهلاً لنعمة الله عليك ، ولن تترك فى الريف غير ذكريات لا يسرُّك أن تعاد

هل عندك من قوة الأخلاق ما تقدِّم به لأهل الريف زاداً جديداً من أدب النفس ؟

هل تستطيع أن تروض أهل الريف على الاقتناع بأن لأهل المدن شمائل هى السبب فى سبقهم إلى أطايب المنافع وكرائم الطيبات ؟

هذا يومٌ من أيامك ، أيها المهاجر إلى الريف ، فكن قَبَساً من الهداية يدفع ما فى الريف من ظلمات . وكن فى سيرتك مثالاً يحتذيه مَن رحَّبوا بقُدومك أجل ترحيب

إن الذين يهاجرون إلى الريف بالألوف سيمرِّضون الريف لرجَّة اجتماعية ؛ فما عسى أن تكون تلك الرجَّة ؟ أتكون خيراً ؟ أتكون شرًّا ؟

عندك ــ أيها المُهاجر ــ جواب هـذا السؤال . لطف الله بك وهداك !

ابدأ بنفسك

كَـثُر التواصى بالوطنية فى هذه الأيام ، وأصبحت الجرائد والمجلات ميداناً لأقلام أهل الحَميَّة من أبناء الوطن العزيز

وهذه فرصة لامتحان النفوس والعزائم والقلوب ، فكل امرىء يعرف ما يملك من زاد الوطنية، وكل امرىءٍ يعرف ما عنده من عناصر الأمانة والصدق والإخلاص

والمهم هو أن تبدأ بإعداد نفسك لدعوة الواجب ، وأن تؤمن بأنك المسئول الأول ، وأنك وحدك المعنى بالنداء يوم يدعو الوطن أبناءه لتفديته بالأموال والأرواح

ويلى ذلك فى الأهمية أن تشعر بمعنى الأخوَّة الوطنية ، وأن تثق بأن جميع من تصادفهم فى غُدُوِّك ورواحك هم إخوتك وأنصارك ، وإن لم تعرفهم من قبل ، وأن تعرف فى قرارة نفسك أن منافعهم هى بعض منافعك ، وأنك عن تفديتهم مسئول

التماسك الأُخوى هو الحجر الأول فى بناء الوطنية ، ويوم يصح هذا التماسك لا يضيرنا أن تَفْسُد الدنيا يوماً فينفرط عقد الأمان

هل سمعت بالقوانين التى تشرع للطوارئ ؟

إن كنت سمعت فاعلم أن الأمة الكريمة هى التى لا تفتقر إلى مثل تلك القوانين فى غياهب الأزمات وظلمات الخطوب

نحن لا نحتاج إلى أدب النفس فى أيام السلام ، وإنما نحتاج إلى أدب النفس فى أيام الحرب ، فمن أنت بين أصحاب النفوس ؟

الوطن يعتمد بعد الله على نفسك العالية ، فكن عند ظنه الجميل الوطن يرجو أن تفى له فى أيام الشدة كما وفى لك فى أيام الرخاء

الوطن هو أنت ، فن أنت ؟

إن في الدنيا ناساً يتخذون أيام الحرب وسيلة لورم الجيوب ، وأعيذك أن تكون من أولئك الناس

لمثل هذه الأيام تدّخر الأخلاق ، فكن من أقطاب الأخلاق إبدأ بنفسك فنزّهها عن مآثم الجشع والخيانة والبهتان ، فإن فعلت فستظفر بثروة روحية تدفع عنك ظلمات الحوادث ، وتمنحك القدرة على الاستهانة بالخطوب

العاقبة للصادقين

العاقبة للصادقين

العاقبة للصادقين

فكن في جميع أحوالك من أهل الصدق . واحذر أن يكون أحد في الدنيا أصدق منك ، فما يليق برجل كريم أن يكون من أهل الطبقة الثانية في الصدق

الأحزاب السياسية والأدبية

في أعقاب الأزمة الوزارية الأخيرة أدركت قيمة الحياة الحزبية إدراكاً أوضح من الإدراك الذي كنت أتمثلها به من قبل ، فقد صح عندي بصورة صريحة أنها تعاون على إظهار أقدار الرجال

ومن المؤكد أن في كل أمة رجالاً يصلحون للحكم بأفضل مما يصلح بعض رجال الأحزاب ، ولكن حرمانهم من الأنصار يحول بينهم وبين أداء واجبهم عن طريق المناصب الوزارية ، وهي مناصب تمكّن الرجل المخلص من أداء الواجب الوطني على الوجه المنشود

قد يتفق في بعض الأحيان أن يصل الرجل المستقل إلى تلك المناصب ، ولكنه مع ذلك يظل مقلقلاً مزعزعاً بسبب عزلته عن الأسندة الحزبية ، وهي دعائم تحول الضعفاء إلى أقوياء . والمرء كثير بأخيه ، كما قال الرسول :

من حق الرجل أن يتحزب ، بل من واجبه أن يتحزب ، على شرط أن يكون صحيح النية في خدمة المبدأ الذي ينتمي إليه ، وعلى شرط أن يكون التضامن الحزبي وسيلة لغرض سليم هو استعجال الفرصة للاضطلاع بحمل الأعباء الثقال في خدمة الوطن عن طريق الوزارة أو طريق البرلمان

ولا يعاب التحزب إلا بآفة واحدة هي ما يقع من السَّرف في اللجاجة والعنف ، كالذي نراه من بني بعض الأحزاب على بعض من حين إلى حين

ولكن من السهل على الرجل الحكيم أن يتجنب هذه الآفة فلا يَشتِم ولا يُشتَم ، ويظل محترماً من الجميع ، كأن يكون مثل مصطفى عبد الرازق بين الدستوريين، ومثل زكي العرابي بين الوفديين ، ولهذين الرجلين أمثال في سائر الأحزاب ، وإليهم تتجه الأنظار في الظروف التي توجب أن يتقدم لحمل أعباء الحكم رجالٌ ليس في مسلكهم الحزبيّ ما يهيج الخصومة ويثير الخلاف

تلك هي الحال في الحياة السياسية ، فكيف تكون الحال في الحياة الأدبية ؟

الواقع يشهد بأن النجاح في الأدب قام على أسناد من العصبيات الممثّلة في الأندية والجمعيات ، فعندنا في مصر أحزاب أدبية ، وإن لم تصطبغ صراحة بالصبغة الحزبية ، وبفضل ذلك التحزب المستور لَمَعَتْ في عالم الأدب أسماء كانت أهلاً للخمول لو واجهت الحياة الأدبية بلا أسناد من الأصدقاء والحلفاء

أقول هذا وقد فاتني التحزّب في السياسة والأدب ، فأنا صديق الجميع ، وعدو الجميع ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يعيش بلا أنصار ولا أصفياء

سمعت أن في مصر حزباً يسمى حزب المستقلين ، وهم الذين قرروا الاجتماع في حديقة الأزبكية ليعلنوا رأيهم في الصورة التي تؤلَّف بها الوزارة الجديدة . ثم سمعت أيضاً أن الوزارة أُلِّفت قبل أن ينفضّ اجتماعهم « المعقود »

وأنا في الأدب من حزب المستقلين ، فليس من العجب أن تؤلَّف اللجان وتُعقد المؤتمرات بدون أن أخطر في البال ، فتلك مزية الاستقلال !

سأتحزَّب ، سأتحزب ، سأتحزب

ولكن كيف ؟

سأعقد محالفة بيني وبين قلبي ، وهو أقوى وأنفع من ألوف الأصدقاء

قضيتُ دهري بلا نصير ولا مُعين ، وسأظل كذلك طول حياتي ، لأقيم الدليل على أن من يستنصر بالله لا يخيب ولا يضيع

فإليك يا فاطر الأرض والسموات ، وأنت وحدك الوليّ النصير ، أقدم واجب الحمد والثناء

زكي مبارك

أن يكونوا من جنس واحد مشترك، وهذه ليست الحقيقة . ومن السهل على القارئ أن يعرف هذا إذا عرف أن زنوج أمريكا يتكلمون الآن الإنجليزية ، وأن الإرلنديين — إذا استثنينا استعمالهم للغة الإرلندية القديمة لأسباب سياسية — يتكلمون الإنجليزية أيضاً كما يتكلمها سكان ويلز ببريطانيا بعد ما فقدوا لغتهم الكلتية القديمة . وكل ما تدل عليه اللغة المشتركة بين الأجناس المتباينة هو حدوث اختلاط اجتماعي في الماضي بين متكلميها مختلفي الأجناس ، واشتراكهم في مستقبل واحد ، ولا تدل على أصل مشترك واحد[1]

لم يتفق علماء الطبائع البشرية على الخصائص التي تميز جنساً من الأجناس البشرية عن جنس آخر ، ولكنهم متفقون على أنه قد وجد في العصور القديمة جداً أجناس بشرية أولية متميزة ، وقد انتشرت هذه الأجناس في الأرض وارتحلت من مكان إلى مكان ، ومن مناخ إلى مناخ ، ومن بيئة إلى بيئة ، فخضعت لاختلاف البيئة الجديدة ، وتأثرت بما فيها من رخاء وشدة ، ومن طعام ومأوى ومناخ ، فتكيفت الأجسام والعقول تكيفاً يناسب البيئة الجديدة . وتطور هذا التكيف خاضعاً لقانون التنازع الدائم بين الإنسان وبين الطبيعة : يريد أن يخضعها وتريد أن تخضعه . فجدت أقوام تخالف أجناسها الأصلية ، وامتزجت هذه الأقوام بغيرها من أقوام ذوي جنسيات أخرى . وهكذا استمرت الأسرة البشرية في تغير وتطور حتى صارت إلى ما هي عليه الآن . فلم تبق إذاً تلك الأجناس البشرية الأولية محافظة على وحدتها وكيانها ، ولكن جماعات أخرى جديدة تأثرت بعوامل البيئة المستمرة وتميزت عن غيرها ، وإن كانت هذه الجماعات الجديدة لم تحتفظ بدمها الجنسي الأصلي . من أجل ذلك نجد اختلاطاً كبيراً في صفات الأجناس البشرية الحالية ، فسكان استراليا الأصليون سود البشرة بينما شعرهم مستقيم ، وتقاطيع وجههم تشبه تقاطيع وجوه الأوروبيين . وكذلك نجد بين سكان الأقاليم الشمالية Nordic races من له شعر أسود ، وبشرة ورقاء ، وبين سكان أقاليم البحر الأبيض المتوسط بيض البشرة وسمرها

وبالرغم من هذا كله فقد حاول علماء الطبائع البشرية أن يقسموا الأسرة البشرية الحالية إلى جماعات جنسية وفقاً لصفاتهم الجسمية الظاهرة : كشكل الجمجمة ، وتقاطيع الوجه ، ولون البشرة ، ولون الشعر ولون العيون . وعلى أساس هذه الصفات الجسمية تنقسم الأسرة البشرية إلى ما يأتي :

الجنس القوقازي : وهو يشمل سكان أوربا والبحر الأبيض وغربي آسيا ، وهو جنس أبيض . وهذا الجنس ينقسم إلى جنسين أو ثلاثة أجناس[1]: الجنس الشمالي، ويمتاز بالشعر الأصفر وبياض البشرة بحمرة وطول الجمجمة[2] . وجنس البحر الأبيض المتوسط ، ويمتاز بالشعر الأسود والبشرة البيضاء بسمرة والجمجمة المدورة ، وبين هذين الجنسين جنس ثالث هو الجنس الألبي Alpine race وهو وسط بين الجنسين[3] . ومن الجنس القوقازي بعض السكان الأصليين للهند وإيران وما بينهما . شكل (١) ، (٢) ، (٣)

الجنس القوقازي



شكل (١) بربري من شمال أفريقيا — شكل (٢) يمثل سكان الشمال — شكل (٣) يمثل يهوديا من الجزائر

الجنس المنغولي : ويمتاز بصفرة البشرة وسواد الشعر واستقامته ، وارتفاع عظام الخد ، وتوسط القامة . ويشمل سكان آسيا الوسطى والشرقية ، والأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) ، وجنساً يسمى الكالوك كان يسكن هضبة التبت حتى القرن السابع عشر الميلادي حين ارتحل إلى شواطئ الفلجا . وقد اختلط الجنس المنغولي بالجنس القوقازي في أواسط آسيا وشرقيها . شكل (٤) ، (٥) ، (٦)

(١) راجع كتاب The Outline of History, H. G. Wells صفحة ١٤٦ .

(١) الجنس في علم المنطق قد يكون بعيداً وقد يكون قريباً ، فالجنس القوقازي مثلاً جنس بعيد، بينما الأجناس الأخرى التي ينقسم إليها أجناس قريبة

(٢) إذا نظرنا إلى الجمجمة من أعلى فإن طولها هو امتدادها من الأمام إلى الخلف وعرضها بين الجانبين ، فإذا كان عرضها ٤/٥ الطول أو أكثر فهي مدورة ، وإن كان العرض أقل من ٤/٥ الطول فهي مستطيلة

(٣) يرى بعض العلماء تقسيم الجنس القوقازي إلى جنسين فقط : الجنس الشمالي وجنس البحر المتوسط

الجنس المنغولي



شكل (٤) يمثل الهنود الحمر — شكل (٥) امرأة صينية — شكل (٦) كالموكي من سكان الصين الشمالية

الجنس الزنجي : ويمتاز بسواد البشرة ، وتفلطح الأنف ، وثخن الشفتين ، وتجعد الشعر . ويكون هذا الجنس سكان إفريقيا الأصليين . وقد تأثر هذا الجنس بما جاوره من الأجناس الأخرى . شكل (٧) ، (٨) ، (٩)

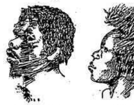
أشكال زنجية



شكل (٧) — شكل (٨) — شكل (٩)

الجنس الاسترالي الأصلي : ويمتاز بسواد البشرة ، وقد تكون حواء ، وبسواد الشعر واستقامته وكثافته ، وبطول الجمجمة ، وتفاطح الجبهة وانحدارها إلى الخلف . ويشمل سكان استراليا قبل كشفها ، وسكان جنوبي الهند وسيلان وشبه جزيرة الملايو شكل (١٠) ، (١١)

الجنس الاسترالي الأصلي



شكل (١٠) — شكل (١١)

ويذهب بعض علماء الطبائع البشرية إلى القول بوجود جنس آخر أقدم من الأجناس السابقة كان موطنه منطقة البحر الأبيض المتوسط الأفريقية ، ويمتد شرقاً إلى الهند فالمحيط الهادي ، ثم يعبره إلى المكسيك وبيرو . ويمتاز بالبشرة البرنزية وهو صاحب أقدم الحضارات المسماة بالحضارات الهليوليتية Heliolithic ولعل الحضارات الأولى التي ظهرت في وادي النيل والفرات ودجلة كانت على صلة بتلك الحضارة الهليوليتية ... ويظهر أن سكان صحراء الجزيرة العربية البدو كانت لهم حضارة هليولوتية[1] .

هذا وتقسيم الأجناس الذي ذكرناه إنما هو رأي طائفة من العلماء . والحقيقة أن هذه الأجناس قد اختلط بعضها ببعض لدرجة يصعب معها أن نجد جميع مميزات كل جنس باقية من غير تغير . بل إن بين بعض أفراد الجنس الواحد من الفروق الجسمية ما هو أكثر من الفروق بين فردين من جنسين مختلفين .

وسنعالج موضوع الفروق العقلية بين الأجناس في مقال قادم

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) صفحة ١٤٠ من كتاب The Outline of History, H. G. Wells

هذه هي الساعة ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

قامت الدنيا وأخذت تمد زينتها لأمر غير ما مضى من أمرها. إنها لا بد أن تتبرج لعيون عشاقها، ممن كتب لهم أن يشهدوا مشهداً آخر من فصول الرواية الإنسانية التي تمثل في ساحاتها. نعم، فإن الحرب المهلكة التي لا تزال تفعقع من شواهقها حين تنقض، أو تزحر وتئن تحت أثقال الوقائع — لا تلفت الحياة الدنيا عن عملها في تلبيس العيش بالفتنة لمن يعيشون، ولا عن تقديم اللذة لمن يشتهون. وكأن هذه الحرب إن هي إلا تضخيم عظيم لعمل العامل في إزالة التطرية (التواليت) عن وجه الغانية، ونسف التطريف (المانوكير) عن بنانها، وما سوى ذلك من إعداد الغانية الحسناء لتبدو مرة أخرى في حلي وبهاء وزينة

لا أتشاءم ولا أتفاءل، فالقدر قد قضى على الدنيا قضاءه؛ وما ندري ما يراد بنا منذ اليوم! فرب شر نتوهمه كذلك قد احتقب الخير، ليرى في أرجاء الدنيا غرساً جديداً في أرض جدد ثراها ما أصابها من تدمير وهدم. إن بعض القسوة في الحياة يكون كتشذيب الشجر في إبانه، يقطع منه لتزداد قوة على إثبات وجوده وتقرير حقه في البقاء نامياً فينان يسمو وينتشر ويخضر ويثمر. وقانون الفطرة الذي تجرى أحكامه على الطبيعة لتتجدد، لا يخطئ ابن الطبيعة يعمل فيه، ليصنع له حياة جديدة تثبت أن وجوده على الأرض حقيقة نامية أبداً، إن يكن الماضي قد باد في التاريخ، فإن الحاضر يثبت إثباتاً عملياً أنه مستمر في الحاضر، ويكون استمراره في الحاضر دليلاً على امتداده إلى المستقبل. ويكون من جميع ذلك أن الحياة الدنيا مهما أصابها من شيء باقية، لا يمحوها إلا القانون الآخر الذي يجعل لكل أول نهاية ينتهي إليها. فإذا جاء أوان هذا القانون فقد بطلت حيلة المحتال

إن الزمنَ الذي يمشي في الأرض فتخضرُ منها مواطئُ أقدامه، هو نفسه الزمن الذي يدب عليها فيُسمع لدبيبه دمدمة مما يتقصف تحته من عمارة الدنيا وبنيان الحضارة، وعلى مواطئ الزمن تتنزل الحضارات كلها أو تتهدم. ومن يوم أن تمهّدت الأرض بالحياة يبيدُ شيء ويقومُ شيء، وما يزول منها ما يزول إلا ليحل عليها ما يحل، لأن الحركة دليل الحياة، فلا يثبت معنى الحياة إلا بها، وما يتحرك من متحرك إلا لتكون لانتقاله نهاية إليها يتوجه، وعندها يقف. فإذا وقف فهذا آخر أنفاسه، ثم يسكن سكون الموت

فما بنا على ذلك أن نتشاءم أو نتفاءل، وما التشاؤم والتفاؤل إلا حركة النفس الفارغة التي لا تجد عملها، فهي تعمل في إرهاق نفسها بما لا ينفعها ولا يمنعها؛ وليس من عمل الإنسان ما هو أضر عليه من إجهاد نفسه في باطل، والجهاد بها في غير طائل. فإذا أردنا اليوم أن ننظر فما ننظر إلا لنعرف الطريق التي يجب أن نقرر لجهودنا أن تمهدها لنا ولمن يأتي بعدنا على تدبير وسياسة

والقدرُ اليومَ قد قضى بين الناس، ووضع القضية لمن يختار، فمن شاء أن يدخل في عقد هذا وعهده دخل فيه، ومن شاء أن يتخلف فقد رضى لنفسه على مَيْزة وبصيرة، وما ينقض القدر قضاءه الذي أبرم، فيأتي من يأتي ينوحُ بما ظُلم، ويتوجع بما غُبن!!

ونحن قد لقينا من أحداث الدهر ما ردّنا بعد عزّة إلى قرار هوان. وقد أنّى لنا أن نرفع أنفسنا من وهدة واطئة قد ربضت بنا فيها سلاسل من حديد الذل، وقد حضرت ساعة ينبغي أن نفصل فيها بين عهد مضى وزمن يستقبل، فإذا قعدت عزائمنا، وعميت أبصارنا، فأنفسنا نضيع، وأرواحنا تزهق

جاءت هذه الحرب لتنسف تاريخاً شامخاً ثقيلاً قد اضطجع على حياة الشرق كما يضطجع الجبل على سفحه الرَّحْب، فإذا تأخر الشرق وتهاون وتكاسل على ما عوّده الموت الروحي الذي كان فيه، فقد سنحت له الفرصة ثم ولّت عنه، وتركت يده ممتدة لا تمسك إلا أذيال الريح التي استروحت عليه بأنفاس الصيد وروائحه

إن في هذا الشرق لميراثاً نبيلاً من الأعمال والأخلاق والآداب والسياسات، ولكن هذا الميراث المضيّع النسي لا يجدي من خير على نائم قد أغمض عينيه عن الحياة، استمتاعاً

بحياة أخرى تعرضها له أحلام رخية تختال فى خياله . هذا الميراث المجهول فى حاجة إلى من ينفض عنه غبار القدم ، وأتربة الإهمال ، ويزيل عنه أدران الجهل والخمول ، ويجلوه مرة أخرى على أعين الناس مضيئاً مشرقاً يتوهج بأنواره كأحسن ما يتوهج

لقد كانت الحضارة الأوربية الماضية ، وقامت على روح من الأثرة والبغى والاستبداد ، وفقدت كل معانى الروح السامية التى تبذل أكثر مما تأخذ ، وتمتد الغنى من الاستغناء لا من الجمع والتعديد ، وتجعل حرية النفس فى ضبطها وإمساكها على المصلحة لا فى تسريحها وإرسالها على مد الشهوة . وقد كان للشرق مجد وحضارة ومدنية ، وتمم الإسلام كل الكمال لهذه الحضارة بما أقام للناس من شمرائه وآدابه ، وجاء على الشرق زمان كان الإصلاح فيه ضرباً من إفساد الصالح ، وزيادة الفاسد فساداً وخبالاً . وكذلك ضاع كل شيء ، ورجع بنا الزمن إلى جاهلية جهلاء ، تقوم على التقليد لا على الإبداع ، وعلى المتابعة لا على الاستقلال ، وبالكبرياء لا بالتواضع ، وحتى ذكرى مجدنا السالف قد صارت عندنا نخوة جاهلية فى التمظم بالآباء والأجداد ، لا عملاً عظيما تمظمه أعمال الآباء والأجداد والوراثة القومية النبيلة

والحضارة ليست هى العرض الظاهر من قوتها وبنيانها وفنونها وكل ما يقوم به نعت الحضارة ، بل الحضارة هى السر الذى يعمل فى إيجاد ذلك واستنباته ، وإخراجه على الأرض واستثماره : هى سر الحبة التى تنبت الدوحة ، والذرة التى تقوم بها المادة . فكل حضارة لا بد لها من روح تعيش بها وتنمو ، وعلى ما فى هذه الروح من النظام والتدبير والنبل والسمو ، تنشأ الحضارة منظمة مدبرة سامية نبيلة . ونحن لا نشك فى أن الروح التى ورثها الشرق فى نواحيها ، والتى طهرها الإسلام من نواحيها وأتمها ، وأحسن سياستها ، ونفى عنها خبثها – هى التى تستطيع أن توجد على الأرض حضارة تملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وتفيض بها رحمة كما فاضت غلظة ، وتجعلها طريقاً للإنسانية تخرج به من ظلمات الباطل والبغى والغرور إلى نور الحق والتواضع والمساواة . ويومئذ لا يقتتل الناس من أجل سلب الحق للزيادة فى أنفسهم وجنسياتهم ، بل يقتتلون – إن هم اقتتلوا – من أجل إعطاء الحق ورده على أهله مهما اختلفت جنسياتهم ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بما يحسن هذا ويسيء ذاك ، ويصبح القانون العالمى ، قانون الحق يستقر حيث ينبغى أن يستقر

إن العالم الآن ليقتتل على غير غرض إنسانى كامل مقرر ، لا يشذ على غاياته ومبادئه أحد . إنه يقتتل على طعام يؤكل ، بل على هذا الطعام كيف يُؤكل . فليس لهذه المدنية الأوربية إلا معنًى جنسىٌّ مُتَعَصِّبٌ تدافع عنه لنفسها لا للإنسانية كلها ، لا يشك فى ذلك إلا من طمس الله على بصيرته ، وقادته أهواؤه وغرائزه دون عقله وواجبه . وما هذا التوحش الحيوانىُّ فى هذه الحرب إلا نتيجة طبيعية للفكرة القومية المستقلة التى لا تريد إلا أن تستولى على أعظم ما يمكن أن تضع يدها عليه لتستمتع بالحياة والشهوات والسلطان

أما الإسلام — وهو روح الشرق من أقدم عصوره على اختلاف أديانه وأجناسه — فقد وضع كل مأثرة قومية جاهلية تحت قدمى صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوّى بين الناس من أهله وبينهم وبين أهل ذمته وعهده ، واختار المسلمين ليكونوا شهداء على الناس ، فيكونوا قضاة يحكمون بالعدل لا يغبنون ولا يجورون ، وجعلهم دعاة يدعون إلى مبدأ يتساوى عليه الناس ، فمن دخل فيه فهو منه ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وكتب عليهم القتال وأمرهم بهم ، وعظم الجهاد فى نفوسهم ، ولكنه قتال على دعوة إلى هذا المبدأ وجهاد فى سبيله وحرم عليهم العدوان ابتغاء عرض الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها

فالمسلم من دينه فى قانون إنسانى كامل ، لا يعمل للجنس أو الفرد أو السلطان والسيطرة ، بل يعمل لإعطاء العالم كله روح المساواة ، قد تحاجزوا بينهم فى الشر ، وانطلقوا فى أيامهم يعملون على إثباتها فى تاريخ الدنيا بمجدها لا باستبدادها ، وبغايتها دون لذاتها ، وبالسمو بها إلى الإشراف على نظام الدنيا والسمو بها ، لا بسيطرة القوة على إخضاع الدنيا وإذلالها ، وجعلها كالبقرة يُحلب درها لمن يملكها . فالقانون الإسلامى العظيم هو روح الحضارة التى يجب أن تسود العالم ، فإنها حين تسود عليه تجعل الحق هو السيد الذى تخضع له أعناق الناس ، لا يبغى بعضهم على بعض فى سبيل شهوات غريزية حيوانية مفترسة ، يغذوها الدم ويهيجها الدم ، فهى آكلة لا تشبع وثائرة لا تقر

والمسلمون اليوم هم جل الشرق ، وروح الشرق ، ولكنهم مسلمون قد أفرغوا من معانى الإسلام وبقيت ألفاظه تعيش بهم. إن كل فضيلة من فضائل هـذا الدين ، وكل عمل من أعماله قد انتزعت منه روحه ، فتعامَل الناس على ما خيَّلت ، لا يبالون ما أمروا به ولا مانُهوا عنه ، ففقد هـذا الشرق الرأى العام الإسلامى الذى يكون تعبيراً صحيحاً عن إرادة الإنسانية فى الاستعلاء والسمو . ولكن هذه الحرب قد تثير هذا العالم الراكد ، وتدفع فيه أمواجه الأولى التى غسلت وجه الأرض وطهرته من دنس الحياة المادية العابثة المعربدة ، فإذا كان ذلك فإن هذا الشرق قد أعد اليوم لأمر جلل ، وقد حفظ الله له تاريخه الذى ورثه كاملاً فيه الأسوة وفيه العبرة ، وفيه فلسفة الحياة الاجتماعية التى تجعل الفرد الواحد أمة كاملة لأنه هو ممثل الأمة ، وتنصبه حاكما لأنه يحكم نفسه أول ما يحكم ، وتهيئه جيشاً محارباً فى سبيل الحق الأعلى للإنسانية ، لأنه يحارب نفسه أول مايحارب فى إقرارها على إعطاء الحق لمن يستحقه من حقيقة نفسه

فاليوم يوم الشرق إن اختار أن يبدأ حركته إلى الغاية التى أمر بالبلوغ إليها والوقوف عليها شاهداً قاضياً ، يدبر الأمر ويصرفه فى سيادة الحق كله على الباطل كله ، ونحن لا ننسى ما صرنا إليه ، ولا نغفل عما فرغت منه أيدينا من أسباب الغلبة التى تحكم اليوم فى مصير الدنيا ، ولكن الإرادة التى تحكم الرجل الواحد ، تستطيع أن تحكم العالم كله ، وسبيل ذلك أن يكون كل رجل صريداً إرادة صارمة لغرض مقصود بعينه ، فهذه الإرادة هى التى تفتق له الجو الإلٰهى الذى يمد الإرهاص للمعجزة الإنسانية

ستكون أحداث ، وتتجدد على الناس نوازل ، وتسيل الكوارث من كل مسيل ، ولكن الشخصية الاجتماعية التى لا تختلف ولا تتدابر ولا تتعادى ، تستطيع أن تغرس فى أيام المحن غرس المجد الإنسانى السامى ، لتنبت شجرة يمتد ظلها ، ويتراحى فيئها ، ويطيب ثمرها ، ولا يكون ذلك إلا بعد جهد ومشقة وعنت ، ومصابرة للنفس على لأواء الحياة التى فرضت علينا أن نتألم ، وأن نصاب ، وأن يبلغ منا العذاب مبلغاً يُجهد ويؤود

فهذا أوان يستطيع الشرق أن يضرب الاستحكامات فى أرضه وفى أوطانه بأخلاق سامية عاتية ، فيها القدرة على النمو ، والقوة على البقاء ، وأن ينظم لحياته نظاماً يهدف بغاياته إلى مستقبل يبعد عنه أو يقرب على حياطة تحفظه أن يقع فيه ما وقع فى أيام البلبلة الأخيرة التى تبعت الحرب الماضية . نعم ، إن الشرق يفقد اليوم زعيمه الذى يهب من جماعاته كالأسد تنفرج عنه الأجمة الكثيفة عالىَ الرأس حديد النظرة ، تتفجر القوة من كل أعضائه ولكن ، أيمنع هذا أصحاب القلوب الحية التى تشمر بحاجتها إلى هذا الرجل أن تهزّ شعوبها هزًّا عنيفاً متتابعاً ، حتى ينفلتَ إلى المقدمة ذلك الأسد الرابض إلى الأرض فى قيوده الاجتماعية التى تقعد به عن الحركة للوصول إلى المكان الذى أعده له القدر ، ليبدأ بدأه فى إعداد الدنيا لاستقبال الدين الذى سيتجدد فى الدنيا ، لأنه هو سر الدنيا وسر القدر

إن علينا أن نعمل ، فإن كان ما أردناه وما نتمناه ، فذلك عز الإنسانية ورضوان من الله ، وإلا فقد أدينا ما وجب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

محمود محمد شاكر

حركات الإصلاح الإسلامية

٥ ـ أزمة إســـــلامية

للدكتور علي حسن عبد القادر

لم تبق حركات الإصلاح محصورة فى الهند ومصر ، ولكنها تعدتهما إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك أن حركة التبادل الفكرى فى العالم الإسلامى قوية عنيفة لا يمكن معها أن تبقى مثل هذه الحركات مقصورة على مكان واحد . وعلى الأخص إذا كانت أفكار ذوى الشخصيات القوية مثل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ممن تمدت أفكارهم وآراؤهم الحدود ووجدت صدى بعيداً وتأثيراً مباشراً

وقد ظهرت فجأة وعلى غير انتظار حركة إصلاح دينى هى حركة الإصلاح فى تركيا ، ذلك الشعب الذى لعب دوراً فى قيادة العالم الإسلامى عدة قرون . وقد جاءت هذه الحركة متأخرة عن الحركات الأخرى ، ولكنها كانت مع هذا التأخر أشد من أولئك فضلاً وأنفذ عملاً . أما السبب الذى جعل تركيا التى كانت تسير فى الإصلاحات السياسية والثقافية فى المقدمة وعلى قمة الناهضين — لا تهتم اهتماماً استقلالياً بالإصلاح الدينى إلا آخراً ، فإن ذلك يرجع إلى أسباب من أنواع مختلفة ، فمن ذلك أن الأتراك بطبيعتهم لم يكونوا باحثين منقبين ، ولم يساهموا فى تطور الإسلام بسهم ملحوظ ؛ فإنهم عند ما دخلوا الإسلام كان الدين والتفكير فيه قد انتهى إلى شكله النهائى الذى وصل إليه. وكما أنهم لم يساهموا فيه أولاً، كذلك لم يساهموا فى نهضته آخراً ، لما هو فيهم من ميل وسنى لاقتباس المدنية الغربية ، وكلما ظهر تأثرهم بهذه المدنية قوياً ظهر إمكان إيجاد الاتصال بين الإسلام وبين العقلية الحديثة للشباب التركى أمراً بعيداً

وتطور التركية الحديثة يسير منذ زمن طويل قليلاً أو كثيراً فى طريق لا يقوم على أساس أو خلق بل هو عار عن كل وطنية أو دين ، وهو ما يسمى فى الشرق بالنزعة الغربية أو الأوربية occidentalismus على أننا لا ننسى أمراً مهما وهو أن عصر طغيان عبد الحميد كانت تمجد فيه مذاهب السنة والتمسك بها فى الآستانة . ومن الحق أن جمال الدين كان قد أثر هناك، ولكن تأثيره كان ضعيفاً من سوء ظن السلطان به؛ وكانت أفكاره قد طبعت من جانب عبد الحميد بطابع سياسى عملى. وفى هذه الفترة التى اشتد فيها النزاع الداخلى بين الإسلام والتقدم الأوربى كان لا يمكن أن تأتى هذه الأفكار بثمرة . وهكذا نرى أنه بعد ثورة ١٩٠٨ أخذت مسألة الدين مكاناً واهتماماً بنفس الشكل الذى كان عبد الحميد يحاول بشدة تنفيذه، وأخذت الحركة الروحية الناشئة التى كان يحاول إيقاظها تدب فيها الحركة

وفى بدئنا الآن بحث قيم وضعه عن تطور حركة التجديد فى تركيا تركى مثقف ثقافة غربية كاملة ، ولكنه فى الوقت نفسه ذو إحساس دينى حار ، وهو أحمد محيى الدين الذى مات مع الأسف فى سن مبكرة(١) أما كيف سار التجديد بسرعة قبل أن يقطع طريقه مرة واحدة فيتبين لنا ذلك من هذه الحقيقة وهى أن محيى الدين استطاع أن يكتب فى سنة ١٩٢١ هذه العبارة : « إن طريقة أهل السنة التى غرضها التمسك بالإسلام بشكله التاريخى الحاضر قد أصبحت اليوم مغلوبة مهزومة » . فى هذا الوقت (١٩٢١) كان يتنازع الغلبة مذهبان مختلفان أشد الاختلاف : المذهب الوطنى die onationalistische Richtungen الذى كان يتزعمه الشاعر المفكر ضياء جك ألب . والمذهب الآخر الذى سماه محيى الدين « المذهب الإصلاحى » Reformation والذى كانت تقوم عليه شخصية الشاعر الواعظ محمد عاكف ، وعمل برنامجه الأمير المصرى والوزير العثمانى محمد سعيد حليم(٢) . ومن الممكن على احتمال قليل أن نميز أولهما بأنه سياسى ثقافى والآخر بأنه دينى إصلاحى والمهم هنا هو أن كليهما قد وضع لمسألة الدين طريقاً واحداً للسير فيه . فكل منهما — كما يقول محيى الدين — يرفض الإسلام التاريخى ويطلب الرجوع إلى الإسلام الأول ، وكل منهما يرفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر ويطلب

(١) Ahmed Muhiddin, Die Kulturbewegung un modernen Türkentum (Leipzig 1921)

(٢) راجع عن برنامج محمد سعيد حليم وضياء جوك الب ترجمة فيشر : Fischer, Aus der religiosen Reformbewegung in der Turkei (Leipzig 1922)

حرية الاجتهاد. فهما – كما نرى – قد رسما خطة للتجديد واسعة. ونستطيع أن نتبين من غير صعوبة أن برنامجهما المشترك يتفق في أهم نقطة مع برنامج الإصلاح المصري. وفي الحقيقة أن الارتباط الشخصي ظاهر بين «المذهب الإصلاحي» التركي، وحركة الإصلاح المصرية، وأمور الإصلاح فيهما متفقة

وقد وضع المذهبان التركيان لهما شعاراً للاصلاح الديني كلمة «إسلام أشمق» بمعنى الرجوع إلى الإسلام. وعند تفسير هذه الكلمة عند كل من المذهبين يتبين لنا الفرق الأصلي بينهما

ومعنى هذه الكلمة يرجع في مرحلتها الأخيرة إلى جماعة المؤمنين المتمسكين بالقديم، إزاء المصريين المندفعين في تيار الأوربية المنكرين للإسلام. ثم لما كشف القناع عن دخيلة هؤلاء الأتراك الذين لا دين لهم ولا وطنية أخذ هذه الكلمة الوطنيون أصحاب المذهب الوطني في برنامجهم الثلاثي: (ترك – إسلام – تجديد) وأراد به هؤلاء الوطنيون تحرير الإسلام من أعمال أهل الدين المتأخرين، ومن أمور زمنية ومكانية التصقت به من أول الأمر، ولكن كما يظهر من البرنامج الثلاثي فإن هذه الكلمة تصور طلباً من طلبات الوطنية؛ والنقطة الرئيسية والمهاد الأهم إنما هو الناحية السياسية الثقافية، فكلمة «الرجوع إلى الإسلام» هي على الأكثر القالب الذي يصب فيه البرنامج ما يحس به من مسألة الدين كنقطة هامة. وهكذا حدد هذا البرنامج الدين في مجاله الضيق وفصل عنه الجانب الآخر من الحياة الإنسانية؛ فهو يطالب مباشرة فصل الدين عن الدولة، وغايته حياة دنيوية غير روحية

وعلى الضد من هذا «المذهب الإصلاحي» فهو مع إحاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية في الدين وما يعنيه من «الرجوع إلى الإسلام». فهو يعني الرجوع إلى الإسلام القديم؛ لا بإبعاد الأمور التي غيرت منه أثناء تطوره التاريخي فحسب، بل أيضاً وقبل كل شيء يريد الوقوف ضد هؤلاء المصريين المندفعين في تيار الغرب وضد دعاة المذهب الوطني، فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية من غير إضرار بحرية الفرد، وهي في هذا متفقة مع الحركة المصرية مختلفة مع المذهب الوطني أصلياً في مسألة الدين

وقد يختلف المذهبان اختلافاً جزئياً في طلباتهما، ولكنه أقل من اختلافهما في الدوافع، وكما يتحدان في نقدهما للاسلام التاريخي في كل الأمور، يتحدان أيضاً في كثير من المسائل العملية، فالفرق بينهما ليس فرقاً ظاهراً للعيان، ولكنه فرق كامن في الأساس. ومن الحق أن نقول من جانب آخر إن عدم اهتمام المذهب الوطني بالدين لا يصح أن يؤخذ على معناه الواسع، فإن شمر ضياء جوك ألب الديني يرينا بوضوح أنه ذو شخصية دينية محافظة عميقة

إلى هنا قد تعرفنا أهم أشكال الحركات الإصلاحية الحديثة في الإسلام، أما حركات هؤلاء الوافدين على أوربا وأمريكا مثل الحركة البهائية الفارسية أو الأحمدية الهندية، فهي حركات منفصلة لا تمت كثيراً إلى الحنيفية الإسلامية

وأخيراً يتبادر لنا هذا السؤال: هل تلك الحركات إذا ما أمكن تحقيقها تستطيع إلى مدى بعيد أن تحقق الاتفاق مع التفكير المصري والأخذ بحركات التقدم العلمي والمادي؟ وجوابنا على هذا السؤال بالإيجاب بدون قيد ولا شرط، فإن العقيدة الإسلامية لا تمنع أي تطور تجديدي، بل هي في أصلها أشد مرونة وأسلس قياداً من العقيدة المسيحية. والذي يظهر أنه مانع لا يزال هو الفقه المكون من تفصيلات تافهة، فإذا ما ترك هذا كما هو الأساس في كل حركات الإصلاح فإن التقدم المصري – حتى بمعناه الأوربي – يكون بابه مفتوحاً على مصراعيه.

علي حسن عبد القادر

أنا ... والقلم

للأستاذ علي الطنطاوي

[بين يدي الآن رسائل من بيروت وحمص وبغداد والأسكندرية وأم درمان من إخوان كرام ما كان لي شرف الاتصال بهم ، كلهم يسألني لم لا أكتب في الرسالة في هذه الأيام ، ويشفق أن تكون الأرزاء قد هدت ركني وكسرت قناتي .. فكتبت هذا الفصل هدية إليهم وجواباً]
«ع»

أعترف أنها قد جفّت قريحتي فما تبضّ بقطرة ، وكلّ ذهني ، ومات خيالي ، ومرت عليّ أيام طوال لم أستطع أن أخط فيها حرفاً ، وعدت من العيّ والحصر كأول عهدي بصناعة الإنشاء ، وأصبحت وكأني لم أكن حليف القلم وصديق الصحف ، وكأني لم أجر للبلاغة في مضمار ... وما أدري أأبرأني الله من حرفة الأدب التي ابتلاني بها وابتلاها بي ، أم هي سكتة عارضة وعُقلة مؤقتة ، كالذي يعرض للشعراء والكتاب ، ثم تزول السكتة وينطلق اللسان ، ويعود أحدٌ مما كان ؟ . وما أدري أعلّة ذلك الزواج ، وقد قالوا إن زواج الأديب يؤذيه وتنور منه ينابيع فكره ، أم هي الرزايا والآلام ، وما يغيظ الأديب من انحراف الأمور عن صراطها ، وتقدم من حقه التأخر ، وتأخر من يستأهل التقدم ، وضياع الحقوق وغلبة الجهال ، أم هذه العزلة الحسية والروحية التي أبت إليها طوعاً أو كرهاً ، فجعلت حياتي كالبركة الساكنة ، لا يسقط فيها حجر فيثير أوحالها ويخرج دررها ؟

إني كلما أخذت القلم لأكتب ، أحسست أنه يحرن ولا يملكني زمامه ، وأنه يستعصي عليّ ويستعصم مني ؛ وأجدني أميل إلى مطالعة كتاب ، أو أنظر في صحيفة . فأقبل على القراءة ، وأعوض على ذهني ما فاته منها في هذا الزمن الطويل ، وإني لا أزال أحتاج إلى تعلم كثير مما أجهل ، ولا تزال في الكتب ما لا أستوعبه في شهرين أو ثلاثة ، ولست قائلاً مقالة ذلك الدعيّ الذي زعم أنه قرأ ديوان الفرزدق في خمسة عشر يوماً ، ولا والله ما يفهم قصيدة منه واحدة في شهر ... ولا الذي ظن أنه علم كل شيء حتى ما يسائل واحداً عن علم مسألة لكي يزدادها ! فأسلمتني المطالعة إلى الزهد في الإنشاء ، ومال بي الزهد إلى إيثار الدعة وابتغاء السلامة ومحبة الخمول ، بعد الرغبة في الذكر ، فسبحان مقلب القلوب ...

ولقد كنت أشكو الغربة وأضيق بها ، فصرت أشكو فقدها . وبا حبذا الغربة ، وأنعم بها مثيراً للشعور ، موقظاً للهم . كنت أتألم منها فأسف ألمي ، وأشتاق فأصور شوقي ، وأرى فيها جديداً فأنتبه إليه ، فأكتب فيه ؛ فرجعت أمرّ على المشاهد غافلاً عنها لأني آلفها كلها وأعرفها ، ورجعت لا آلم ولا أسر ، ولا أقول إني راض ولا مبتئس — وهذا لعمري شرّ ما يمر على الأديب من الأحوال ، وهذا هو الموت ... ولربما شغلني سفساف الأمور ، وأضاع عليّ الكثير من وقتي . وهل ينفع القراء أن يعلموا أن عملي منذ شهر الطواف في أحياء دمشق من شرقها إلى المغرب ، ومن شمالها إلى القبلة ، أفتش عن دار أستعيض بها عن داري (في الجادة الخامسة) ، لأن حماقة صاحبها كرهت إلى جمال مستشرفها ، وطيب موقعها ... وأن أعصابي في ثورة دائمة ، عفت معها الحياة ، من صبية عشرة — أحياهم الله لأبويهم — يسكنون الطبقة التي تحتنا ، لا يهدءون لحظة ولا يسكنون ولا يفترون عن بكاء أو صياح أو غناء ، أو قرع باب أو كسر شباك ؛ وقلبي يخفق وأعصابي تتمزق ، ولا أنتفع من نفسي بشيء . وإن شكوت إلى أحد سخر مني وضحك عليّ . فليتصور القراء مبلغ ما أجد من الضيق والأذى ، فياليت أني لم أعط ملكة الكتابة ، أو ليتني إذ أعطيتها عرفت كيف أستفيد منها ، فما شيء أصعب على الرجل من أن يريد ولا يقدر أو يقدر ولا يريد ...

وليثق القراء أن يوماً لا يمر عليّ لا أكتب فيه شيئاً أو أعد في نفسي شيئاً لأكتبه لهو يوم بؤس عليّ لا يوم نعيم ، وأن أول ما أفكر فيه إذا سرني أمر أو ساءني ، أو أعجبني أو راعني ، كيف أصوره وأعرض على الناس صورته كي أنقل إليهم شعوري ، وأقاسمهم عواطفي ، لا أفعل ذلك للشهرة والمجد الأدبي ، ولا للنفع ولا للضرر ، فقد بلغت من الشهرة ما يصح الوقوف عليه لو كانت الشهرة أكبر همي ، ولكني رغبت عنها لأني وجدت ما نلت منها لم يُنلني خيراً قط . ثم إنه ليس بين الرجل وبين أن يشتهر في بلادنا بصفة الأدب إلا أن يكتب فصلاً أو فصلين ؛ فإذا هو ومن ملأ الأسماع أدباً حقاً وبلاغة باقية سواء ، ولكني أكتب — علم الله — لأدفع عن نفسي الملل وما يصيبها من الألم إذا أنا لم أكتب ، فكأنني

أعمل بالغريزة التي تدفع النحل إلى اتخاذ العسل والعقارب إلى نفث السم ، وكل حي من الحيوان إلى ما سخر له من نفع أو ضرر . ولا أعلم أأحسن أم أسيء، ومتى يكون الإحسان وكيف يجيء ، وكل ما أعلم أن فكرة تخطر على بالي تأتي بها نظرة أو سمعة ، فتنمو فيها حتى تملأ ذهني وتسيطر عليّ ، فلا أملك عن تدوينها تأخراً ، فآخذ القلم فإذا هي تجر وراءها أخوات لها ، وإذا أنا أمضي في الكتابة لا أكف حتى يكون القلم هو الذي يقف ، ثم أبعث بذلك إلى المجلة أو الجريدة ، فإذا أبطأت بنشره أو أهملته سخطت وثرت ؛ وإن نشرته فرحت به وقرأته بلذة ، فإذا مضى عليه يوم عدت إليه فرأيت عيوبه . فقلت ليتني نقصت من هنا وزدت من هناك ، وحذفت هذا أو أثبت ذاك . . . ثم لا يمنعني ذلك أن أعود إلى خلقي من الإسراع كرة أخرى . ولقد حاولت التنقيح والصناعة مرة فأفسدت من حيث توهمت الإصلاح ، فمدت إلى طبعي . فإذا كان في الناس من يعجبه ما أكتب فالحمد لله . . .

وما سكت لقلة في الموضوعات ، ولكن لجفاف في القريحة . ولو كان بي أن أكتب لوجدت في كل شيء موضوعاً لفصل ، غير أنه لا بد من العاطفة والفن ، ولو كان الأدب الواقعي أن تسرد كل ما (وقع) لك لكان الناس كلهم أدباء ؛ ولكن الأدب الواقعي أن تأتي بالصورة الجميلة ، قد صقلها الطبع ، ورقشها الخيال ، وزانتها العبارة الصحيحة ، والسبك الدقيق . لكنك لا تخرج فيها عما (يمكن أن) يقع . . .

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في وصف هذا الفتى الذي صحبنا في لجنة من لجان الامتحان كان فيها عالم الشام الشيخ بهجة البيطار ليصحح معنا أجوبة التلاميذ فكان كلما وجد استعارة أو مجازاً خط تحته خطاً ، وكلما وجد ترادفاً من اللفظ أو مزدوجاً من الجمل مد مدّة فوقه ، ثم نقص عليه من درجات التلاميذ درجة . فحاورناه في ذلك فكان من رأيه الذي تعلمه في باريز وعلمه التلاميذ الذين جعلوه معلمهم ، أن المذهب الجديد ينكر ذلك ويعده غلطاً ، وكانت حجته القاطعة على صحة رأيه أنه رأيه . . . وبذلك دفع كل ما ردّ به عليه الشيخ ، وما بيّن له من سنن العرب في كلامها ، وما جرى عليه بلغاؤها وما نزل به الكتاب . . . ومال ناظر المدرسة إلى (رأيه . . .) لأنه هو وحده بيننا الذي يحمل شهادة التخصص في اللغة العربية من . . . باريز !

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في التعليق على الامتحانات وما يكون فيها من الوساطات والشفاعات والالتماسات وما نالني منها ، وكم أبصرت في داري من وجوه ما كانت لتكون فيها لولا الحاجة . . . وطلب (الشفاعات) . . . وما يحيق بالدرس المستقيم الشريف من عنت ومشقة ، وما يقال عنه وما يلقى . . . وما يتخذ التلميذ من طرق الغش والحيل ، فإذا أظهرتها وعاقبته عليها زعم أنك ظلمته ، وتمسكن وجعل نفسه ضحية فأثار عليك الناس ، أو (تنمرد) واستكبر فبطش بك ، أو شتمك أو وكل بك من يقوم بـ (الواجب) !

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في تاريخ الأدب فصلاً أجعل إهداءه للدكتور صلبا ليرى أن الله لا يستحيل عليه أن يمنح ملكة الأدب من لا يحمل شهادة اختصاص فيه . . . وأن الشهادة بلا علم ليست دائماً أفضل من العلم بلا شهادة . . .

ولو أسعدتني القريحة لوصفت هذا المشهد الذي يملأ النفس ألماً ، ويفجر القلب أسى ، منظر زميلنا المعلم الشاب (مصطفى شكري خسرو) الذي كان موعد زفافه اليوم ، وكان صحيحاً معافى ، فرئي اليوم نعشه يمشي إلى المقبرة وعليه غطاء سرير العرس ووقفت زوجته التي كانت ترقب الزفاف ، تشهد الدفن . . .

مثل هذا الموضوع ينشد الأديب ويبتغي ، ينشد لحظات الإشراق والتجلي ، إذ يحس بأنه خرج من ذاته ، فدخلتها روح أخرى ، فطارت به إلى الملأ الأعلى ، فأرته ما لا تراه عين ، ولا تحيط بوصفه لغة بشر ، وإنما يصور بإشارات ورموز ترفع قارئها إلى هذا العالم النوراني العجيب

* * *

أما المشفقون علي ، الخائفون أن تلوى الحادثات قناتي ، وتهد ركني ، فليعلموا أني في أمان ، وأن رسالة الأديب أن يطاعن عن الحق ويناضل حتى تعلو كلمته ، أو يصرع دونه ، ولينظروا أيهما أسير في الناس وأشهر ، أورقة الشهادة الناطقة بفضل صاحبها ، أم مجلة يكتب فيها الأديب فيقرؤها مائة ألف ؟ وأيهما أقوى وأمتن، أهذا القلم الدقيق أم أرجل الكراسي التي يثبت عليها (أولئك) ويعلون بها ؟ وأيهما أحد وأمضى ، ألسان البليغ المفوه أم ألسنة ببغاوات الليسانس والدكتوراه ؟

إن لكل أديب رسالة ، فليقوّنا الله على تأدية الرسالة

علي الطنطاوي

أضرار التشجيع

للأستاذ سعيد الأفغانى

إن من عادتى إذا حل الصيف ونفضت عنى عناء التدريس وذيوله من امتحانات ومراقبات أن أفىء إلى قاعة المجمع العلمى العربى ، فأسرح الطرف بما يرد إليها من الكتب والمجلات الغربية . وكان أن وقع فى يدى عدد من مجلة « العصبة[1] » الصادرة فى المهجر ، فطفقت أطالع فيها ، فوقفت عند هذا العنوان « ذلك الأمى اليتيم . بحث أدبى لا دينى » وإذا بالكاتب يسىء فهم النصوص ويغمز الأئمة الذين أجمعوا على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم منذ صدر الإسلام حتى يوم الناس هذا ، ويعجب من غفلتهم ، ثم يتلطف بهم ويعتذر لهم بأن الخطأ أتاهم من حيث إن النبى كان أمياً ثم زالت أميته !

يتساءل حضرته : هل زالت عنه الأمية كما زال عنه اليتم بعد أن تقدمت به السن ؟ هل تعلم القراءة ؟ (وهو يعنى طبعاً القراءة فى الصحف التى لا يعرفها إلا من تعلمها مع الكتابة تعلماً) . ثم قال : « نجيب بكل جرأة (هكذا والله بالحرف) إنه تعلمها وبز الأولين والآخرين ! » انتهى وما شاء الله كان

ويأبى بعد ذلك إلا أن يسرد ما يراه حججاً من مثل : « أنا أفصح من نطق بالضاد » ، « أنا مدينة العلم . . . » ، « اطلبوا العلم . . . » ، « اقرأ باسم ربك الذى خلق »

لست أريد الرد على هذا الكلام ولا أنا بصدد شرح أمية الرسول فمن العبث المخجل أن أشغل القراء بما هو معلوم من التاريخ بالضرورة ، وإن مما يفهمه الصغير قبل الكبير أن القراءة معناها مطلق التلاوة ، و (اقرأ) الواردة فى الآية معناها (اتلُ) عن ظهر قلب لا أن يسرد ما فى صحيفة أو كتاب . وإن حض الرسول على طلب العلم ، وكونه أعلم الناس لا ينافى أميته ، وكل ما فى الأمر أن هذا الناشئ جهل الفرق المقرر بين (الأمية) و (العامية) فتوهم تناقضاً بين النصوص ، وأن هذا التناقض عمى عنه الأولون والآخرون حتى طلع حضرته ببصيرته النافذة ونظره الثاقب فأزال لبسه وحل تناقضه بقوله : كان أمياً ثم تعلم وزالت أميته . دع عنك ما يعرفه كل مطلع على سيرة النبى من اتخاذه كتاب الوحى ومن استعماله الرجال ليكتبوا عنه إلى الملوك ومن الحادث المشهور فى الحديبية حين سأل علياً عن مكان كلمتى (رسول الله) من الصحيفة ليمحوها بيده الشريفة إذ أصر رسول المشركين على محوها وامتنع على ... إلى آخر القرائن التى لو لم يكن غيرها لما ساغ لأحد عنده شىء من الفهم أن يذهب إلى نفى أميته ، فكيف ونصوص القرآن نفسها مصرحة بأميته فى آيات مكية ومدنية ، ولو لم يكن إلا هذا التواتر الصارخ لكان لعاقل أن يتهم عقله إذا تطرق إليه فى هذا الأمر شك مهما ضؤل

أم كان من الحتم إذا قرر كاتب أن بحثه غير دينى أن يركب رأسه فيه فينقض المبرم ويبرم المنقوض ، ضارباً بالعلم والتاريخ واللغة والمنطق والعقل عرض الحائط : يأخذ ما شاء ويدع ما شاء ويستنبط ما شاء كيف شاء بلا سناد من برهان ولا رابط من فهم ولا ضابط من منطق

* * *

أنا لا أشك فى أن إفساح مجلة (العصبة) صدرها لمثل هذه الآراء الفطيرة ضرب من التشجيع ، وأننا باسم هذا التشجيع نقذى عيون القراء بما يزهدهم فى سمين الأدب تحامياً لغثه

وقد آن للمفكرين أن يوازنوا بين مساوئ التشجيع وما يذكر من حسناته ، حتى إذا رأوا الشر فيه أربى على الخير نبذوه غير مأسوف عليه

على أن أول الأضرار حائق بالذين نشجعهم : لأن أحدهم حين يرى سخفه مذيلاً باسمه فى صحيفة سيارة ، يداخله من الصلف والغرور ما لا يقوّمه مهذب بتهذيبه ولا ناصح بنصحه ، ثم يترفع بعد هذا عن كل درس ومطالعة ، ذاهباً إلى أنه شب عن الطوق وأن بوسعه أن يأتى بخير مما فى الكتب ، فقد صار كاتباً نحريراً وأديباً كبيراً ؛ وهذا ما يعوق كثيراً من ناشئتنا عن التعلم والتأدب الصحيحين ، وهو هو ما يشكو تفشيه فيهم كثير من العقلاء

لست أنكر أن التشجيع قد يكشف عن بعض المواهب ويسلك بها السبل المجدية التى تؤتى فيها أكلها ، لكنه إلى ذلك يدفع إلى الحياة بخلق كثير من أنصاف العوام الذين انتفخوا غروراً واعتداداً وكانت أنوفهم فى السماء وهممهم فى الحضيض وقلوبهم هواء

ولأن نصد بتثبيطنا اثنين أو ثلاثة نأمل فيهم النجاح خير لنا

(١) العدد (٢٢١) السنة السادسة ص ٩٢

وأبق من أن نفتح الباب على مصراعيه فنشجع كل جاهل ودعى وغبى ، ونملأ صحفنا ومجلاتنا جهلاً وسخفاً ونعيش فى جو مشبع غثاثة وابتذالاً

وبعد فماذا على المرء أستاذاً كان أم أديباً أم صاحب صحيفة ، إذا قال للشادى : يا بنى تحتاج إلى أن تتعلم كثيراً وتتعب طويلاً قبل أن تحدثك نفسك بدفع ما تخط إلى المطابع ؟

وإذا كان فى كل حكومة إدارة خاصة لمراقبة المطبوعات من الناحية السياسية ، فلم لا يكون فى كل إدارة جريدة ومجلة وفى كل مطبعة مراقبة فنية دقيقة ترفض كل رخيص مبتذل من المقالات ؟

إن من الواجب على المطابع أن تكف عن طبع كل كتاب ليس فيه سد ثغرة فى المكتبة العربية أو إضافة خير أو إحياء تراث قيم ... وحينئذ يستريح الناس من هذا الهــتر الذى تدفعه المطابع إلى الأسواق حتى تَشْمَئِزّ النفوس الكتب والمجلات لما فى أكثرها من غثاء وهزال

والحاجة إلى هذه المراقبة أمس لأن فيها وقاية للملكات من الابتذال والركاكة والفساد ، وذلك أجدى على الثقافة من كثرة المعاهد والكليات ، إذ أن الصحف والمجلات والكتب مدارس ميسرة لكل قارئ مهما ضؤل حظه من المعرفة . ومن أول الواجبات على هذه المدارس العامة أن تكون رافعة لمستوى قارئها لا خافضة له

***

فى الأقطار العربية ظاهرة ثانية للتشجيع المجرم لا تقل عن هذه فتكا ونكاية ، وليس بناصح من عرف موطن الداء فلم يدل عليه مجاملة أو إشفاقاً . عنينا بهذه الظاهرة داء الشهادات التى يحصل عليها حاملها بأرخص ثمن وأيسر سبيل

ومع أنى أعرف أن الجامعات ليست سواء فى التساهل (أو الغش إذا شئت الصراحة) أعرف كذلك أن بعضها قد تدنى — وخاصة مع الغرباء — إلى درجة لا يصح السكوت عليها، بل يجب على كل حكومة تحررت من أن يفرض على مصالحها هؤلاء المزورون فرضاً — أن ترفض هذا الضرب من الشهادات صيانة لمصالحها من عبث الجاهلين وحفظاً للأمة أن تنحدر إلى الهاوية إذا تولى أمورها المدلسون

يذهب الشاب العربى إلى إحدى ممالك أوربة ، فلا يكاد يهبط عاصمتها حتى تراه مهرولاً إلى مكتبة مشهورة أعطى عنوانها قبل سفره ، فيقفها على أن مراده الحصول على شهادة (الدكتوراه) فتتفق معه على مئات من الفرنكات تتناسب هى وعدد الصفحات المطلوبة ، فتجمعه بأحد عملائها من الأساتذة الذين يرتزقون من التزوير ، فيكتب له الأطروحة ويعلمه إياها تعليما ، ويقومان معاً بتجربة المناقشة ، ثم يتقدم بها الطالب إلى الجامعة فيفوز بالشهادة ومعه درجة (مشرف جداً très honorable) ويعود إلى بلاده فيعهد إليه بمنصب علمى أو إدارى يشرف منه على كثير من المتعلمين ليس فيهم إلا من هو أعلم منه ومن أستاذه وأشرف

وقد بلغت الوقاحة ببعض الجامعات أن تعطى الدكتوراه لمن قدم إليها أطروحته بلغة يجهلها هو كل الجهل . فإذا أنت عجبت لهذه الجامعة كيف تترخص هذا الترخص ، وهى فى أرقى البلاد المتمدنة ، أجابك الناخرون عنها : إن هذا شأنها مع الغرباء فقط ، وهو من قبيل التشجيع لا غير ، وليس على الجامعة من ضير ، لأن هذا الجاهل لن يضر وطن الجامعة ، وإنما الضرر منه على وطن آخر قد تكون سياسة الدولة التى تنتسب إليها الجامعة تتعمد هذا الإضرار تعمداً . والأمر بعد هذا على شاكلة كل البضائع المغشوشة التى تصدر هناك ، ويكتب عليها : « بضاعة للتصدير إلى الخارج »

ولست أدرى، هل فى هذا الذى ذكروا مايبرر الغش والتزوير؟ وهل يستبيح العلم تسمية الجاهلين علماء لوجه التشجيع فقط ؟

ولما رأى الكثيرون هذه السبيل المعبدة لنيل الشهادات تهافتوا عليها وهجروا الطرق المشروعة من التعلم الصحيح والدأب المتواصل والعمل الجاهد ؛ وصار الذى يطلب الشهادة من طريقها الحلال مثلاً شروداً بين أصحابه فى الغفلة والغباء

ألا أخبرك ، يا سيدى القارئ ، بأشد من ذلك كله وأنكى ؟ أتريد أن تعرف كيف آل الأمر بهذا التشجيع ؟ فاستمع إذن لما أقصه عليك :

لقينى منذ سنوات خمس شاب من حملة (الليسانس) هبط دمشق لجال جولة فى أروقة الحكومة فيها ، وتكفل دهاؤه وشطارته ووسائطه أن يمهدوا إليه بتدريس اللغة العربية فى إحدى مدارسها . فبعد أن عرفنى بنفسه بلطف متناه واحترام قلبى ، خدرنى بمجاملته الساحرة ، ثم قال :

إن أولى أمانيه فى مجيئه إلى دمشق أن يجد السبيل لإنقاذ مخطوط عربى نفيس من الضياع ، وإنه لقى كثيراً من علماء

العاصمة وأدبائها ، وارتاد أبهاءها الثقافية (صالوناتها) ، متعرفاً لرجالاتها ، ثم خاطبهم بمراده ، فكلهم أشار عليه بأن يلقانى ... وإن الغيرة على العلم والأدب هى التى تحفزه لهذا الأمر الجسام ، وهو مستعد أن ينفق على مشروعه النفقات الباهظة ... وليس يعوزه إلا أستاذ ضليع محقق ... عنده من الغيرة على لغة العرب وتراثها ما يستحلى من أجله كل صاب وعلقم ... وإنه يحمد الله على أن هداه إلىّ ووفقه إلى إنجاح المسعى بى ... الخ

كل ذلك يقوله بنبرة متحمسة ولهجة عصبية تعطف عليه الصخر الأصم . ولم يكن من هذا العاجز إلا أن وقع فى الشراك قائلاً فى نفسه : إن من الفرض على المرء أن يشجع من نصب نفسه لخدمة العلم مهما كلفه التشجيع من الجهد والوقت

وعدته أن أهب له فراغى الوحيد كل أربعاء من الصباح حتى الظهر ، وابتدأت على ذلك حتى انتهى العام المدرسى : يقرأ علىّ فى قاعة المكتبة الظاهرية نسخته التى نسخها بمصر من كتاب (سر الصناعة لابن جنى) وبيدى النسخة الخطية التى تملكها دار الكتب الظاهرية من هـذا الكتاب ، وأنا أصحح وأقابل وأضبط وأعلق وأرجع إلى مصادر كثيرة فى القاعة وهو يكتب ما أملى عليه . فما ساخنا العام حتى أتممنا من العمل قسماً صالحاً لست أدرى مقداره الآن بالضبط ، ولكن الخطة شرعت والعمل وضح ، والعقبات اجتيزت ، والحزون سهلت ، وبقى من العمل ما لا خطر له . كل ذلك على ملأ من الناس ، وعلى عين من موظفى المكتبة ومناوليها وروادها لأن قانون دار الكتب يحظر إخراج المخطوط منها تحظيراً باتاً

ثم تعاقبت الأيام يلقانى فيهن هذا الشاب كلما هبط دمشق بظاهرة حافلة من البشاشة والشوق والتعظيم والاحترام ... إلا أنه لا يذكر الكتاب بحرف طول هذه المدة ، فظننت أنه ناء بالمشروع وعجز عن نفقاته فأهمله لسوء حاله ، ولم أجد من المروءة أن أنكأ فيه جرحاً دامياً ... وكرت الشهور وإذا بى أجد فى دار الكتب قبل شهرين رسالة صغيرة بالفرنسية نال بها هذا الشاطر الدكتوراه ، بعد أن عرضها ـ فيما بلغنى ـ بالعربية على الجامعة المصرية فلم تر فيها شيئاً فرفضتها . قلبت الورقة الأولى من الرسالة فإذا خلفها : (سيصدر للمؤلف بالعربية : كتاب سر الصناعة لابن جنى) فدار رأسى والله ، لا حسرة على الوقت الضائع والجهد المسروق ، ولا خشية أن يكون عبث بالعمل فأفسده ثم هيأه للطبع ، ولكن فوجئت بما لم أكن أتصور أن الحياة تنطوى عليه من وقاحة وصفاقة ، وعرفت أن ذلك التهافت من شبابنا على نيل الشهادات بأرخص الوسائل وأبعدها عن الشرف ، قد دخل فى طور آخر أدنى وأحط ، هو ما قصصت عليك من أمر هذا الشاب

وعلم موظفو المكتبة بالأمر فتعجبوا وشُدهوا وقال أحدهم : « هلا انتظر هذا المزور موت الشهود عليه وهم كثير» . ثم بلغنى أنه يريد أن يتقدم بهذا الكتاب إلى الجامعة المصرية لنيل دكتوراه ثانية ؛ فهان الأمر علىّ لأن أقل مناقشة من أساتذة الجامعة المختصين فى موضوع الكتاب وتعليقاته تطلعهم على التزوير فيه وعلى أن البضاعة المعروضة هى لغير عارضها

أحسب والله أن هذا الشاب — ولعل أمثاله فى المجتمع كثيرون — لا يرى أنه أتى أمراً إدًّا ، وأنه فعل فعله أكثر من سبقوه بنيل الدكتوراه من بعض الجامعات الأجنبية ، ففيم يفرد دونهم باللوم ؟

وإذا كان أولئك الدكاتير نقدوا من صنع لهم أطاريحهم الثمن من الفرنكات فلأن هؤلاء الصانعين غربيون ماديون مرتزقون ؛ وأساتذة دمشق بحمد الله مثاليون يحتقرون المادة ، وحسب أحدهم من تعب السنين وسهر الليالى أن ينقذ تراثاً من الضياع وليس يهمه أن ينسب إلى سواه

* * *

وبعد فهذه أنماط مختلفة من أضرار التشجيع ، عرضتها ليعالجها وأمثالها المطلعون من الكتاب ، حتى يحذرها الناس

وإن أختم بشىء فهو قولى للمسؤولين من علماء وأدباء وأصحاب صحف ومجلات ورجال جامعات :

احرصوا على تثبيط الدجالين والمغرورين حرصكم على تشجيع الأكفياء الصالحين ، وما أنتظر لكم من ثواب الله وشكر العلم وامتنان الناس على تثبيط الأولين أضعاف مالكم على تشجيع الآخرين .

وإذا لقيتم هـذا الضرب الوبيل من الناس وجاؤوكم بغشهم وتزويرهم وغرورهم وجهلهم ، فثبطوا ثم ثبطوا ثم ثبطوا

(دمشق) سعيد الأفغانى

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

الهدنة الإيطالية

اختلفت شروط الهدنة الإيطالية الفرنسية اختلافاً بيناً عن الشروط الألمانية ، فالفرق بين القيود الألمانية والقيود الإيطالية فرق كبير ، يستنتج منه الباحث عدة نتائج ، فهي تدل على ظاهرتين عامتين :

١ — التعاون بين الحكومتين : الإيطالية والألمانية ، فكلا الشروط الألمانية والإيطالية يتفق في مبادئ عامة، كشرط نزع السلاح ، وشرط وقف القتال

٢ — التحفظ من جانب الحكومة الألمانية ، فبينما شروط الهدنة الألمانية مؤكدة التحقيق في أكثر بنودها ، نجد شروط الهدنة الإيطالية صعبة التحقيق إن لم تكن مستحيلة بغير قتال

فالهدنتان تطالبان حكومة بتان بوقف القتال في فرنسا ، وفي المستعمرات وفي البحر وفي الجو ، وهذا سهل مؤكد في الشروط الألمانية ، ومشكوك فيه أو من المؤكد عدم تنفيذه في الشروط الإيطالية . فقد احتلت ألمانيا أكثر الأراضي التي نصت عليها الهدنة قبل وقف القتال ولم يبق إلا جزء ساحلي صغير في الجنوب ، يقابله من ناحية ألمانيا احتلال مناطق داخلية تمتد إلى ليون

وأنبأتنا البرقيات أخيراً أن إخلاء هذه المناطق الواقعة خارج نطاق الهدنة يقيد باحتلال المناطق التي لم يصل إليها بعد ، ويعضد تنفيذه رغبة حكومة بتان في الوصول إلى وضع حد للقتال ، ووقوع هذه الأجزاء الساحلية تحت تهديد الغزو الألماني، فلا مفر إذن من تسليم حكومة بتان باحتلالها

تقسيم إيطاليا

فإذا تركنا الجانب الألماني وانتقلنا إلى الجانب الإيطالي نجد أن إيطاليا لا تطالب باحتلال شواطئ البحر الأبيض المتوسط الفرنسية خلافاً لما توقعناه وتوقعه كثيرون ، فهي تكتفي باحتلال المناطق التي حصلت عليها أثناء الحرب . ولعل هذا يفسر لنا السبب الذي من أجله اشتد الهجوم الإيطالي بينما كان المندوبون الفرنسيون يفاوضون المندوبين الإيطاليين ، فقصدت القيادة الإيطالية احتلال أكبر جزء من الأرض ولكن الجيش الفرنسي لم يترك لقواتها الطريق حراً ، بل وقفها عند المخافر الأمامية ، أي أن إيطاليا تسيطر على جانب لا يستحق الذكر من الأراضي الفرنسية لا يتجاوز بضعة كيلو مترات في أراض لا أهمية لها من الوجهة العسكرية ، فالحصون الفرنسية الإيطالية تقع في جبال الألب وهي خارج المناطق المحتلة

ومن المعروف أن شروط الهدنة الإيطالية اتفق عليها موسوليني وهتلر ، أو هي بطريق أوضح من وضع هتلر لا من وضع موسوليني ، ومنها نستنتج ثلاثة أمور :

١ — إيجاد قواعد فرنسية يلجأ إليها الأسطول الفرنسي إذا قبل قادته شروط نزع سلاحه ، فلا يتكلف اجتياز مضيق جبل طارق ويتعرض للصدام بالأسطول البريطاني . فالمعروف أن أكثر قطع الأسطول الفرنسي موجودة في غرب البحر الأبيض المتوسط

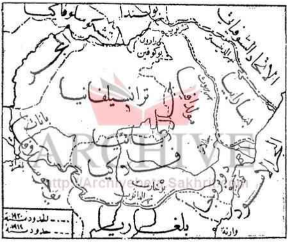
٢ — تهديد حكومة بتان باحتلال الشواطئ الفرنسية للبحر الأبيض في حالة عدم تنفيذ شروط الهدنة فيما يختص بوقف القتال في المستعمرات ، فإن هتلر وموسوليني يعرفان جيداً تقاليد الفرنسيين ووطنيتهم وعدم خضوعهم لأعدائهم ، فتهديد هذا الجزء بالاحتلال يدفع بالمارشال بتان إلى بذل أقصى ما لديه من جهد لإكراه رجال المستعمرات على تنفيذ شروط الهدنة

٣ — وضع إيطاليا تحت إبهام هتلر بطريقة لا يتيسر لموسوليني التملص منها . فقبل أن تعلن المستعمرات الفرنسية موقفها حيال الهدنة كان من المقطوع به أن تسليمها قليل القيمة ، أو ليست له فائدة عسكرية ، فمثلاً أعلنت حكومة سوريا ولبنان أنها وقفت القتال ، فهذا كلام لا تستطيع ألمانيا أو إيطاليا تنفيذه . فإن القوات الموجودة هناك لم تشترك في القتال لتقفه ، فضلاً عن عدم وجود قوات ألمانية أو إيطالية بالقرب منها لتلاحظ تنفيذ هذه الشروط ، فإن الجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والأراضي المحيطة بسوريا ولبنان مناطق نفوذ انجليزية

حالة غامضة

وما يقال عن سوريا ولبنان يقال عن تونس والجزائر وجيبوتى. وما زالت هذه الأجزاء الأخيرة صامتة لم تعبر عن موقفها بصورة قاطعة انتظاراً لما تبرزه الظروف . ويختلف موقف القوات فى تلك البلاد عنه فى سوريا ولبنان فيجاور كل منها ممتلكات إيطالية ، فالصومال الفرنسى هو المنفذ البحرى للحبشة ، وتونس تجاور ليبيا؛ ولكن الممتلكات الإيطالية هناك مرتبكة بانشغالها فى الحرب مع قوات الممتلكات البريطانية ، وقد لا يمر زمن طويل حتى تتجلى حقيقة موقف المستعمرات الفرنسية ، فما قيل حتى الآن لا يوضح اتجاهها الصحيح

وهـذه الحالة الغامضة ترغم موسولينى على مؤازرة هتلر والرضوخ لأوامره ، فى مقابل إمداده بالمعـونة العسكرية سواءأ كانت رجالاً فنيين أم معدات قتال ، أو بعبارة أخرى يعطى هـذا الموقف لهتلر ضماناً باستمرار موسولينى فى ميدان القتال. فطلبات إيطاليا لم يتحقق منها شىء ، ولم تحصل على ضمان يسهل لها الحصول على أحدها



خريطة رومانيا وهي تبين حدودها قبل الحرب الماضية
والبلاد التى ضمت إليها والمناطق التى احتلتها الروسيا أخيراً

وإذا حاولت إيطاليا أن تتدخل فى شئون سوريا ولبنان بأية وسيلة ، فإن تركيا تدخل الحرب ، تنفيذاً لتعهداتها للحلفاء ومحافظة على مصالحها ، فلن تقبل تركيا أن تجعل إيطاليا البحر الأبيض المتوسط بحيرة إيطالية كما يريد موسولينى ، فيهدد مواصلات الدردنيل والبوسفور ، وتصبح مجاورته للأراضى التركية خطراً يهددها . وأعلنت بريطانيا أخيراً أنها تقاوم بالسلاح كل عمل حربى يرمى إلى احتلال هـذه الأجزاء أو التدخل فى شؤونها لغير فرنسا بأية طريقة كانت

فى البلقان

واستغلت الروسيا فرصة انهيار فرنسا واستولت على مقاطعتى بسارابيا وشمال بكوفينا الرومانيتين ، وهو ما توقعناه فى مقال سابق ، إذ قلنا إن الروسيا لن تدخل الحرب بصفة جدية ، وإنها ستكرر ما فعلته فى بولنـدا ، فتستغل ضعف مقاومة الفريقين المتقاتلين وتستولى على الأراضى التى تهمها فى البلقان أو فى البلطيق

ويلاحظ فى تصرفات الروسيا أنها تتبع سياسة روسية محضة غير مقيدة بأى فريق ، فاحتلالها العسكرى لبعض مناطق بحر البلطيق يهدد مصالح ألمانيا التى حرصت على أن تجعل بحر البلطيق منطقة نفوذ ألمانية حتى تضمن سهولة حصولها على خامات السويد، وتحكم السوفياتيين فى هذا البحر يهدد هذه المصالح ، فهى خطوة لا ترضى ألمانيا ، ولـكنها مضطرة إلى قبولها الآن لاشتباكها مع انجلترا فى القتـال ، فإذا وضعت الحـرب أوزارها أو تناولتها فترة انتظار ؛ فنتوقع أن يكون بحر البلطيق مثار نزاع بين الدولتين

ومن الناحية الثانية ضمن الحلفاء سلامة رومانيا، ولألمانيا وإيطاليا فيها مصالح حيوية لمسناها فى الحرب الحالية، فلولا بترول رومانيا لما استطاعت ألمانيا الاستمرار على القتال إلى الآن. وأعلنت إيطاليا مراراً أن البلقان مناطق نفوذ إيطالية ، وأن أى اعتداء على إحدى دوله تقابله بالسلاح؛ ولـكن الفترة الحالية لا تسمح بامتشاق الحسام فى وجه الروسيا وإكراهها على احترام مصالحه أو تصريحاته

منذ ٢٠ سنة

ومسألة بسارابيا مسألة طال النزاع عليها ، فقبل سنة ١٩٢٠ كانت إحدى مقاطعات الروسيا ، واستغلت رومانيا فترة الثورة الروسية الشيوعية ، وانحلال قوة المقاومة فيها وضمتها إلى أراضيها ومن ذلك الوقت لم تصل الدولتان إلى اتفاق عليها

ورومانيا بلد كثير الأعداء والخلافات الخارجية ، ويعتبر استيلاء الروسيا على بسارابيا ثغرة لتدفق هذه المشاكل ، ففى

سنة ١٩١٢ اشتعلت الحرب بين رومانيا وبلغاريا وأخذت منها الأخيرة جزءاً من مقاطعة دوبروجا ، فلما كانت الحرب الكبرى وانحازت رومانيا إلى جانب الحلفاء ، وانحازت بلغاريا إلى جانب ألمانيا ، استعادت رومانيا الأجزاء التي فقدتها بمقتضى معاهدة نويلي سنة ١٩١٩ ، وخسرت بلغاريا في هذه المعاهدة أيضاً مقاطعتي مقدونية وتراقية وقد ضمتا إلى اليونان وفقدت بفقد هاتين المقاطعتين منافذها الساحلية على البحر الأبيض

وحصلت رومانيا من المجر (هنجاريا) بمقتضى معاهدة تريانون التي عقدت في ٤ يونيه سنة ١٩٢٠ على ترنسلفانيا وجزء من مقاطعة بانات التي قسمت بينها وبين يوجوسلافيا ، وتطالب هذه الدول الآن بالأجزاء التي اقتطعت منها ، ولهذا ينتظر أن تكون خطوة الروسيا في الوقت الحالي بمثابة شعلة من النار ألقيت على دول البلقان ، فيكفي أن تتحرك إحدى هاتين الدولتين لاستعادة أراضيها لإشعال نار الحرب في البلقان . ولولا ضغط دول المحور عليهما لأعلنتا الحرب من مدة على فوهة بركان

وإذا اشتعلت الحرب بين دول البلقان ، فلا شك أن ألمانيا وإيطاليا ستضطران إلى دخولها دفاعاً عن الدول المنحازة إليهما ، فإن المجر وبلغاريا من الدول الموالية لمحور برلين روما ، وستدخل انجلترا هذه الحرب أيضاً تنفيذاً لسياسة مناوشة ألمانيا ومهاجمتها كلما سنحت الفرصة ، وتنفيذاً لتعهداتها حيال اليونان وتركيا

أما موقف انجلترا الأخير حيال رومانيا ، إذ اجتاحت الروسيا جزءاً من أراضيها فلم ترسل قوات لنجدتها ، فيفسره أن رومانيا لم تدافع عن نفسها ، بل قبلت شروط الروسيا وتخلت عن الأرض ، ولو قاومت الجيوش الرومانية تقدم الجيوش السوفياتية لتغير الموقف ولأرسلت إليها انجلترا القوات اللازمة . وإذا كانت رومانيا لم تتحرك للدفاع عن نفسها ، ولم تطلب معونة انجلترا ، فهل يحق لمنصف أن يطالب انجلترا بالتصرف بينما صاحبة الشأن الأول لم تدافع عن نفسها ؟

وتعود حركة الروسيا الأخيرة بخسارة كبيرة على ألمانيا وإيطاليا ، كما أثرت على هيبة بريطانيا ، لأنها لم تستطع الوفاء بعهودها . أما خسارة دولتي المحور فترجع إلى استيلاء الروس على مناطق كان أكثرها يزرع لحساب ألمانيا فيمدها بالمواد الغذائية، وترجع أيضاً إلى اقتراب الروسيا من مناطق البترول الرومانية .

نحو البترول

فالمسافة بين الجيوش الروسية الآن وبين ينابيع البترول الرومانية أقصر من المسافة بين الحدود الألمانية وهذه الينابيع ، وكذلك طبيعة الأرض من ناحية الروسيا أسهل منها من ناحية ألمانيا ، فالمناطق التي تقابل الروسيين سهول، ولكن جبال كرابانيا تقف في منتصف الطريق بين ألمانيا ومناطق البترول . فإذا حان وقت تمزيق رومانيا فالغالب أن تستولي الروسيا على هذه المناطق

ويظهر أن الروسيا تتبع سياسة بعيدة الغرض منها السيطرة على جميع دول أوربا . فيلاحظ عند احتلالها لبولندا أنها استولت على مناطق البترول فيها ووضعتها تحت سيطرتها ، وتركت لألمانيا المناطق الأخرى . ويلاحظ أيضاً في حركتها الأخيرة أنها اقتربت من مناطق البترول الرومانية ولم تقتصر استيلاءها على بسارابيا ، بل احتلت شمال بكوفينا ، حتى تجد منفذاً للالتفاف حول جبال كرابانيا فيتاح لها الدفاع عن مولدافيا وفلاكيا اللتين بهما أغنى مناطق البترول في أوربا

ويستنتج من هذا أن الروسيا وضعت سياستها على أساس السيطرة على بترول أوربا، والبترول مادة أساسية من المواد الحربية، وبعد الحصول على حقول البترول الرومانية تصبح منابعه كلها تقريباً في قبضة الروسيا ، وبالتالي تتحكم في مصير الدول لأنها تكون الدولة الوحيدة التي تستطيع إصدار الأوامر وإكراه الدول الأخرى على إطاعتها . ولكن حركتها هذه موجهة إلى دول وسط أوربا أكثر مما هي موجهة إلى دولها الغربية، فانجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال تستطيع الحصول على هذه المواد من بقاع أخرى ، بينما دول المحور محصورة وخصوصاً في حالة الحرب الحالية والحصار البريطاني المفروض على المحيطات، فهل يتجاهل النازيون هذه الحقيقة ؟ وإلى متى يمكنهم الصبر ؟

إن الموقف الحالي وتوجه حكومتي روما وبرلين بكل قواتهما لمهاجمة بريطانيا لا يتيح لها اتخاذ قرار في هذا المصير المقبل ، ولكن حركات الروسيا الأخيرة سببت ولا شك متاعب كثيرة لدول المحور ، وأوجدت لها مشاكل خطيرة يجب حلها بسرعة ، وهي لا تستطيع الآن دفع البلقان إلى الحرب حتى لا تخسر موادها وهي عمادها الوحيد، واشتراك هذه الدول في الحرب معناه خسارة هذه المواد .

فوزي الشتوي

رسالة الشعر

إليهـــا . . .

للأستاذ حسن حبشي

إطْلَعِي فى شُفُوفِكِ الْخَضْرَاء ... يَا مِثَالَ الدَّلَالِ وَالإِغْرَاء
وَدَعِي الْعَيْنَ لَحْظَةً تَتَمَلَّى ... فَاتِنَ الْحُسْنِ وَالْهَوَى الوَضَّاء
مَا أَلَذَّ الْحَيَاةَ فِي ظِلَالِكِ الْعَذْ ... بِ وَفِي فَيْضِ نُورِكِ اللأْلَاء
مَا أَلَذَّ الْحَيَاةَ فى كَنَفِ الْحُسْ ... نِ طَلِيقَيْنِ مِنْ إِسَارِ الْقَضَاء
كُلَّمَا شَاهَدَتْكِ عَيْنَايَ دَبَّتْ ... نَشْوَةُ الْحُبِّ فى صَمِيمِ دِمَائِى

* * *

رَبَّةَ الْحُسْنِ وَالمَفَاتِنِ حَسْبِي ... طَيْفُكِ الْعَذْبُ فَهْوَ كُلُّ عَزَائِى
فيكِ أَبْدَعْتُ كُلَّ لَحْنٍ حَنُونٍ ... سَاحِرِ الْجَرْسِ، فَاتِنِ الأَصْدَاء
آهِ يَا دُمْيَتِي الْجَمِيلَةُ لو تَدْ ... رِينَ مَا بِالفُؤَادِ مِنْ أَهْوَاء
قَدْ بَنَى فِيهِ حُسْنُكِ السَّاحِرُ الفَتَّـ ... انُ دُنْيَا مِنَ الأَمَانِي الوِضَاء

* * *

لَسْتِ يَا فِتْنَتِي مِنَ الأَرْضِ لَكِنْ ... أَنْتِ عُلْوِيَّةُ السَّنَا وَالسَّنَاء
أَنْتِ حُكِّمْتِ فِي الفُؤَادِ فَأَضْحَى ... طَوْعَ هَذِي البَدَائِعِ الغَرَّاء

* * *

أَيْنَمَا كُنْتُ لَمْ أُشَاهِدْ سِوَى حُسْـ ... ـنِكِ يَجْرِي فى النَّفْسِ مَجْرَى الدِّمَاء
فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ وَالشَّفَقِ الدَّا ... مِي، وَسِحْرِ الطَّبِيعَةِ العَذْرَاء
وَغِنَاءِ الطُّيُورِ وَالسُّحْبِ وَالرَّوْ ... ضِ ضَحُوكًا وفى خَرِيرِ المَاء

حسن حبشي

صور وحى الربيع الأحمر

قوس قـــزح

للأديب حسن احمد باكثير

أي قوس بسنى الشمس تحلّت ... وبأطياف الدرارى والبدور
أخذت من كل لون فتجلّت ... جمة الألوان تزرى بالزهور
أترى قوس «كيو بيد» استهلت ... لاصطياد القلب من بين الصدور
أم ليهدي كل نفس قد تخلت ... عن هداها بسناها المستطير

ليته يرسل وبلاً من سهامه
يترك الأكباد صرعى بغرامه
ويزيل الحقد منها بضرامه
إن من فى الكون عاثوا بنظامه
وأثاروها حروباً فى سلامه
كل فرد منهمُ رهن حسامه
أصعر الخد نخور بوسامه
تغتلى فى صدره نار انتقامه
ضلةً يسعى حثيثاً لحِمامه
ويخوض الحرب زهوًا بعُرامه
وسدًى يخفى أساه بابتسامه
ويوارى كربه خلف لِثامه
إن سهم الحب شافٍ لسقامه
ينزع الأحقاد منه بمدامه
ويصب الحب وهاجًا بجامه

أرسلى ياقوس وبلاً من سهامك ... واتركى أكبادنا صرعى غرامك
إن سهمًا منك يردى كل شرٍّ فى الصدور

حسن أحمد باكثير

صرخـــة روح

للأديب عبد العليم عيسى

مشعلي غاب عن عيوني وما زا   ت غريباً لا أنتهي من مسيري
وتهاويلُ ظلمتي أفزعَتْ رو   حي فأضحيت بينها كالضرير
أين تمضي يا زورقي أين تمضي   هل لمسراك في الدجى من مصير؟
تتَخَطَّى المدَى وأنْتَ ضَلولٌ   وحَواليْك كل شيء خطير!
وهزيزُ الرياح ينـــذر بالويـ   ـل المعمَّى والهوْل والتَّدْمِير
قف تمهل فليس يجديك شيء   قف تمهل فأنتَ رهن المثور!

***

رقصَ الجن في طريقي فأحجمـ   ـت عن السَّيْر في طريق النكير
غير أنِّي لا أستطيعُ وقوفي   رَغْمَ هولي وعِلتي وضموري
أي حلم يُغرى فؤادى المدمَّى   يا ترى .. أي كامنٍ مقدور؟!

***

حجبتْني الأوهامُ عن فتنةِ الـ   ـكوْنِ فغلغلتُ في ضلالي العسير
ورميتُ الأقداحَ من كفِّي الدا   مِي وَمزَّقْتُ في فَمي مزْموري
والأزاهير بعثَرْتُها على الطِّـــين يدي في هناءة وحبور
جفَّ نبعي بها .. فلستُ أبالي   أن أراها في روضها المنضور
ما الذي غيَّر الوجودَ بعيني   فغدا معْبَد الدجى المنشور
وأنا الشَّاعر الذي يعشق النُّو   رَ ويعنو لحسْنه المسحور؟
أي دنيا ملأتُها بغنــائي   فوق شط منضَّر بالنور!
أي عودٍ حملْته ذاهلَ الرو   ح وحَوْلي أحبَّتي وزهوري!
ذهبَ الأمسُ مثلَما يذهَبُ الـ   ـحلم بكاسَاتِ لذَّتي وخموري
فإذا بي على ضفاف حياتي   مثقـــل بالهموم والتكدير
آه ما أثقل الحياة عَلَى الشَّا   عِر لمَّا يجفوه فَيض الشعور

(القاهرة)   عبد العليم عيسى



تأملات:

ذات اليمين وذات الشمال

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أوى الفتية إلى الكهف

قالوا إنهم سبعة وثامنهم كلبهم

وقد لجأوا إلى الكهف هاربين من الدنيا يستعجلون الآخرة. والآخرة عندهم جميعاً نهاية نيرة يستطيع كل إنسان أن يصل إليها إذا سلك لها طريقها

ولما كانوا فى المدينة بحثوا طويلاً عن هذه الطريق حتى أعياهم البحث، وكانوا يتفرقون ثم يتجمعون ويسأل بعضهم بعضاً هل اهتدى أحدهم إلى طريق النهاية النيرة؛ فما كانوا يجيبون وما كانوا يهتدون

وأخيراً قال قائل منهم: ما أظننا واجدين شيئاً ولو قضينا العمر كله هنا فى هذا المكان المنحرف عن مسرى النور، وتحت هذه الجدران الجاثمة فوق الأرض بأثقالها والقاذفة الأرض بظلالها، ظلالها المظلمة المعتمة، التى لا يحب أهلها أن تشف، ولا أن تلطف... فتعالوا بنا إلى هذا الكهف الذى فوق هذا الجبل فإنه أكثر تصدياً للنور، وأبعد عن حلبة الصراع المخبول، ولعلنا هناك نهتدى إلى شىء...

فأوى الفتية إلى الكهف، وتبعهم الكلب

وكانوا وهم فى الطريق إلى الجبل يسيرون جميعاً صامتين خاشعين مطرقى الرؤوس، شاهدين على أنفسهم بعجزهم وضعفهم، مؤملين أن يتاح لهم ما يرجونه حتى إذا ما رحلوا عن هذه الدنيا غادروها وهم أكبر مما كانوا يوم وردوها...

إلا أحدهم، فقد كان يضحك. فسألوه عما يضحكه فأشار إليهم ثم أشار إلى نفسه وظل يضحك، فتركوه يضحك

ولما انتهوا إلى الكهف قال قائلهم: نستطيع الآن أن نتفرق فى أركان هذا الكهف وزواياه ومنافذه، ولنجتمع بعد يوم كامل لينبئ كل منا صحبه عما رأى...

فتفرقوا أفراداً، إلا أحدهم فقد اصطحب أحدهم

أما الكلب فقد جلس حيثما كان وبسط ذراعيه

وذلك الذى كان يضحك، ظل يضحك ولم يرض أن يتجه إلى ناحية ما يستقر فيها، وإنما أخذ يطوف بهم، فكلما رآهم واجمين زاد ضحكه، فإذا رآهم منبسطين تضاعف ضحكه، حتى الكلب لم ينج من ضحكاته، بل إنه هو نفسه لم ينج منها، فقد مر وهو فى تلافيف الكهف بنبع نظر فى مائه فرأى صورته فما استرسل إلا ضحكا...

حتى إذا جاء إلى الاثنين اللذين تصاحبا سمعهما يتناجيان، فتخفى وراء صخرة يستزيد سمعاً... وأرهف للسمع نفسه كأن يستجدى السمع مهرباً من ضيق وأزمة... مع أنه كان يضحك!

كان الصغير يسأل الكبير قائلاً:

— الآن وقد جئنا إلى هذا الكهف لنبحث عن ذلك الذى دخنا فى البحث عنه لما كنا فى المدينة، ماذا ترانا صانعين، وأين ترانا سنبحث؟ لقد كانت فى المدينة حياة متلونة، وكنت ترسلنى منها وتقول لى: ابحث. فإذا سألتك عن أى شىء أبحث؟ قلت لى: سر متيقظاً، فإما رأيت أو سمعت شيئاً فاسأل نفسك ما هو؟ وكيف كان؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين هو ذاهب؟ فإذا وجدت الجواب عند نفسك فامض بحثاً حتى تقف أمام ما يعجزك تأويله. فكنت إذا أعجزنى تأويل شىء جئت إليك فأولته لى، وعرفتنى أصله وفصله، ولم أرك يوماً حرت فى أمر ولا استغلقت عليك مسألة، بل إنى على العكس من ذلك كنت أراك تجيئنى أحياناً بأحاديث عما رأيت أنت وسمعت مع تفسيره وتأويله، وما كنت أنا لأخرج منه بشىء إن كنت رأيته أو سمعته... هذه كانت حالنا فى المدينة، فكيف تريد بحالنا أن تكون هنا، ونحن لا نرى شيئاً ولا نسمع شيئاً، وليس أمامنا إلا هؤلاء الذين جاءوا معنا، وها هم أولاء كما تراهم متفرقين يبحثون مثلنا عن شىء لا أراه أنا فدلنى عليه إن كنت تراه...

— هأنذا معك يا بنى، لا أرى إلا ما ترى، ولا أسمع إلا ما تسمع

— وهم جميعاً هكذا، وسنقضى العمر هنا أضيع مما كنا سنقضيه لو أننا بقينا فى المدينة، فهيا بنا نعد فهناك من غير شك أوفى حياة وأحلى

— صحيح . ولكن أمامنا الآن ونحن هنا في هذا الكهف شيء ليس في المدينة ما يشبهه ، وإنه من الخير لنا أن نبقى هنا لنراه

— أما فرغنا من رؤيته بعد ، هذا الكهف وما فيه ؟

— ربما كنا قد فرغنا من استعراض الكهف حقاً ، ولكننا لم نفرغ بعد من استعراض الذين فيه نحن ومن معنا . أما قلنا إننا سنجتمع بعد أن يمضي يوم ؟ أو لا يمكن أن تحدث في هذا اليوم حوادث لنا وللذين معنا ؟ أو لا يمكن إذا انتهى هذا اليوم أن يقول لنا واحد منا إنه رأى شيئاً أو سمع شيئاً ، ولو في المنام رؤيا ؟ ثم أليس أمامنا الآن نفسانا ونفوس هؤلاء الذين معنا وقد اعتزموا أن يقضوا يوماً في الكهف بحثاً . . . ألسنا جميعاً أهلاً لأن يرانا راء وأن يسمعنا سامع ونحن على هذه الحال التي لو علم بها أهل المدينة لجعلونا بها سخرية وهزؤاً ؟ ألست تحب أنت أن تسخر وتهزأ . . . هيا اسخر واهزأ إن لم تجد أمامك جداً . . .

. . . وهنا قصفت من وراء الصخرة ضحكة انفجرت في صدر المختفي وراءها لم يستطع أن يحبسها ، فلما دوت الضحكة وفضحته أطل من وراء الصخرة وقال لهما وقد استرسل يضحك :

— لقد سبقتكما ، فأنا أضحك منذ كنا تحت . . . سنلتقي في آخر اليوم ، وسأقول ، وستقولان ، وسيقولون ، وسنسمع . وأما أنا فسأظل أضحك ، وأما أنتم . . . فمن يدري . . .

فقال الصغير : نحن الذين سنضحك في الآخر وأنت ستبكي

وقال الكبير : من يدري . . .

. . . وهنا . . . تثاءب الكلب . . .

. . . فلما تثاءب الكلب تثاءب بعده أقربهم منه . . . وكان شاباً صادق الوجه ، فيه ملاحة وفيه خفة وفيه دلال بثه في نفسه حب الناس له وإقبالهم عليه . . . وكان فيه إلى هذا إهمال ظاهر في إهماله لنفسه ، ولمحاسنه ولعقله . . .

رأى الكلب يتثاءب ، فالتقط منه تكاسله ، وتثاءب هو أيضاً ، ثم طرح نفسه على الأرض ، وقال للكلب :

— أتكون أنت أهدأ مني بالاً ؟ . . . لماذا ؟ . . . أنا جالس إلى جانبك أحرق نفسي بحثاً عن هذا الذي يبحث عنه هؤلاء جميعاً ، والذي لا أعرف ما هو ، وأنت جاثم نائم مرتاح ؟ لماذا لا أرتاح مثلك ؟ ألأني أريد مثلهم نهاية نيرة ؟ إن عندي ألف نهاية نيرة ! جلسة عند الراقصات الحور في جنة قطوفها دانية بين ذراعي تلك التي . . . هل تعرف يا أيها الكلب « تلك التي . . . » ؟ أو لست تعرفها . . . ؟ تعرفها أو لا تعرفها ، فإنني أنا أعرفها ، وسيزورني الآن طيفها ومعه قطعة من الجنة ، فأحسن استقباله يا صديقي الكلب ، ودله عليّ إذا تاه عني ، وهأنذا راقد إلى جانبك . . . أسعدت مساء . . .

. . . قال هذا ونام . . . نام بعد أن غنى لنفسه ما شاء ، وما استطاع . . . ومر به الضحاك ، فإذا به نائم ؛ فبانت عليه أمارات الغيظ وانحنى عليه يسأله :

— أنائم أنت ؟ . . . فإذا استيقظت في آخر اليوم ، فماذا أنت قائل لهم إن سألوك عما رأيت وعما سمعت ؟ سترى . . .

. . . وانصرف الضحاك عنه إلى واحد من أصحابه رآه يثقب سقف الكهف بمثقاب تحته من الحجر . فهم الضحاك بأن يشكو لهذا الصاحب صاحبهما الذي نام ، ولكنه آثر أن يستتر خلف منعطف في الكهف ، ليرقب هذا الذي يريد أن يخرق الحجر ، وليس شيء وراء الحجر إلا الفضاء

وسطع من جوف الحجر بريق ، فانبهر الثاقب ، وجفل الضحاك . أراد أن يضحك ، ولكنه أمسك عن الضحك ، وآثر مرة أخرى أن يظل يرقب صاحبه ، وهذا البريق الذي لمع من حرف الحجر ، وما عساه أن يحدث بينهما . . .

ظل الرجل يثقب ويثقب حتى استخرجها من جوف الحجر حصاة كبيرة شفافة براقة متألقة ، استقبلت النور فعكسته أنواراً ، فراح يتأملها في إعجاب وفرح ، وأخذ ينفخ فيها ويمسحها بأنامله وهو يقول :

— أظنهم مهما جدوا فلن يعثر واحد منهم على ما يشبه هذه ؟ ولكن ما هذه ؟ على أي حال إنه لا يعنيني كثيراً أن أعرف ما هذه ، ما دمت بهذه أستطيع أن أمتاز على الناس وأن أخلب أنظارهم ؛ فلأخفها ولأكتم أمرها

. . . وبعد أن كان الضحاك الذي كف الآن عن الضحك . . . بعد أن كان يريد أن يشكو صاحبه الذي نام لصاحبه الذي اهتدى إلى قطعة النور المتجمدة ، مضى وفي عزمه أن يشكو صاحبه هذا الأخير لأول من يلقاه من أصحابه . . .

فأخذ يتسلل بين منعطفات الكهف حتى أشرف على صاحب آخر رآه ينبش الأرض ويفكها ، وينبش وينكت حتى تفجر من الأرض ماء ، مد الرجل إليه فمه فشرب منه رشفة ، فإذا به

يترنم ترنماً خفيفاً وإذا به يقول :

— ما في الحياة خير من هذه لذة ... ولا أمتع منها راحة ...

سأملأ من هذا الماء قدحاً، وسأسقى كلا من أصحابي رشفة فيهدأون ويرتاحون، ويدعون بحثهم واستقصاءهم، فأبحث أنا وأستقصى أنا فإن وجدت بعد ذلك شيئاً أعطيتهم منه القليل ، وادخرت لنفسي مصدره ... لن يكون غير هذا ، ولست ظالمهم ، ولا هم ظالمي ، وإنما لكل منا حظه ...

وكان الضحاك قد نسي الضحك ، واعتراه هم لم يكن يتوقعه واعتراه يأس لم يعرف منشأه ، فأطرق برأسه إلى الأرض ، وسار بخطوات عمياء إلى حيث لا يدرى ، وانتهى به المسير إلى حيث كان الكلب راقداً فرقد إلى جانبه هو أيضاً ، ولكنه لم يرقد كما يرقد الناس ، وإنما انبطح على وجهه كالكلب ، وبسط ذراعيه أيضاً كالكلب ...

***

كانوا سبعة وثامنهم كلبهم . أما الكلب فهو الكلب

وأما هم فأولهم هذا الضحاك الذي اغتم ونام في آخر الأمر ، وثانيهم هذا الذي غنى ونام من قبله ، وثالثهم صاحب قطعة النور ، ورابعهم صاحب الماء اللذيذ، وخامسهم صاحب سادسهم، وهما اللذان أرادا منذ أول الأمر أن يريا في هؤلاء الجماعة جداً أو هزؤاً وسخرية إن لم يريا الجد

فأين كان سابعهم ؟ . .

سابعهم كان جالساً على حجر عند مدخل الكهف يتمتم قائلاً :

— هو . هو . هو . هو . هو . هو

***

وانقضى اليوم . واجتمعوا عند مدخل الكهف حول هذا المتمتم ، فسأل أولهم : ماذا وجدت ؟ فضحك . فقال له : أمجنون أنت ؟ لقد سكتنا عن ضحكك هذا عند ما كنا في الطريق ، ولكننا الآن لا نستطيع أن نسكت عنه بعد أن قضينا يوماً بحثاً ...

فضحك ... فقالوا جميعاً : دعه ، إنه مجنون . فتركه يضحك

ثم سأل الثاني : ماذا وجدت ؟ فقال له : غادة هيفاء ، وروضة فيحاء ، ونسيم عليل ، وخمر وغناء ، ورقص وتسابيح ، ودنيا أخرى غير هذه ما فيها إلا السعادة والنعيم ...

فسأله : أين هي ؟ فقال : ها هي ذي ... أما تراها ... إن كنت لا تراها فهي إذن قد ولت ... يا خسارة ...

فقال له : إذا عدنا إلى المدينة فصفها للناس يرحبوا بك شاعراً

ثم سأل الثالث : وأنت ماذا وجدت ؟

فقال له : هذه ... تلمع في النور ، وتلمع في الظلام ، لها أنوار مختلفة الألوان ، حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء ... أنا لا أدرى ما هي ولكني أحبها ، وأنت أيضاً تحبها ، والناس جميعاً يحبونها ، أليس كذلك ؟

فقال له : نعم ، فإذا نزلت إلى المدينة فاخلب بها الأنظار والألباب إنها السحر ... ولكني أوصيك ألا تؤذي ببريقها امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً ضعيفاً ، فما كل عين تطيق هذا التألق الخطاف ...

ثم نظر إلى الرابع وسأله : وأنت ماذا وجدت ؟

فقدم له القدح وقال له : اشرب ، فقال له : ما هذا الذي تريدني أن أشربه ؟ فقال له : ماء وجدته . فسأله : أين ؟ فقال : لن أقول، فإن لي به سلطاناً لو شاع بين الناس فقدته ... إنه شراب لذيذ ومسعد

فقال له : لا ريب إن كنت لا تزال صادقاً . . . فارجع به إلى أهلك فاسقهم منه يقيموك فيهم كاهناً يطلبون عندك الراحة كلما تعبوا ... ولكن لماذا لا تدلهم على سر هذا الشراب حتى إذا مت وجدوه من بعدك ...

فقال : من بعدي ؟ ما لي أنا والذين بعدي ، والذين قبلي ؟ هل عطف عليّ من أهل هذه المدينة أحد ... لا يا سيدي ، لكل منا سره ...

... ثم نظر المتمتم للصاحبين المتلازمين وسألهما : ماذا رأيتما ؟

فقال الصغير : رأينا كم أنتم ، وقد عرفتكم جميعاً إلا أنت يا من تسألني .. وتسأل الناس لم أعرف ماذا وجدت أنت ؟ ولا ماذا ستصنع عند ما تعود إلى المدينة ...

فقال الكبير من الصاحبين : هذا يا صغيري رجل ، له ولي ، كلما فرغ نصب وذكره ، فهو دواماً معه ...

فسأل الصغير — ومن وليه ؟

فأجاب الكبير — هو . . .

فسأل الصغير مرة أخرى — ومن هو ؟ !

فأجاب الكبير مرة أخرى — اسأله هو . . .

فسأله الصغير — قل لي من هو ؟

فقال له — عند ما أستطيع الكلام سأقول لملك . . .

ثم نزلوا إلى المدينة ... ووراءهم كلبهم . فلما تشتتوا كان الكلب يعود إلى الكهف وحده بين الحين والحين لينام ، فقد استطاب الهواء الذي هناك .

عزيز أحمد فهمي



الذرة وبناؤها الكهربائي

THE ELECTRICAL STRUCTURE OF THE ATOM

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يكاد يكون اتجاه علم الطبيعيات الحديثة في مبحث الذرة أن اللبنات الأساسية التي تبنى منها الذرة موجية ، وذلك من بعد ما نجح العالم الفرنسي « لويس دي بروجلي » Louis De Broglie – والأستاذ « هيزنبرج » Heisenberg – في وضع مبادئ الميكانيكا الموجية . فنحن نعلم أن نظرية « نيلز بوهر » Niels Bohr مع نظرية المقدار القديمة The Old Quantum theory كانت تستحكم في الأذهان حينما تقدم للملأ « لويس دي بروجلي » عام ١٩٢٣ م مقرراً أن الألكترونات وهي دقائق كهربائية مادية ذات شحنة سالبة تحمل ما يتبين فيه نبض موجي ، وأن أشعة « إكس x » تظهر في شكل من القوة خاص بالذرة غير أن ملاحظة « لويس دي بروجلي » لم تحظ بتأييد أحد غير العلامة « شترودنجر » Erwin Schrodinger ولكن حدث أن نجح الأستاذ « دافسن » Davisson وزميله « جرمر » Germer في إثبات أن الألكترون وهو دقيقة مادية يخضع لقوانين التفرق الموجي . فنحن نعلم أن مرور موجة ضوئية في ثقب دقيق يتمخض عما يعرف باشتباك الأمواج وتفرقها – إذ بدلاً من أن تسير الموجات الضوئية في خطوط مستقيمة فإن أجزاءها تشتبك . ومثل هذا يحدث إذا مرت في معدن متبلور أو صفائح فلزية حيث تقوم دقائق المعدن أو الفلز مقام الحائل في الضوء المرئي . وقد نجح هذان العالمان في إمرار ألكترونات من خلال صفائح فلزية من الذهب ومعادن متبلورة ، فكانت النتيجة التي انتهينا إليها أن الألكترون يتصرف تصرف الأمواج ، إذ تشتبك أجزاؤه وتتداخل . ومن ذلك الحين احتلت الميكانيكيات الموجية مكانها اللائق في عالم الفكر العلمي الحديث

وقد استند « لويس دي بروجلي » إلى ظاهرة تصرف الألكترون كموج وقرر أنه عبارة عن موجة كهربائية تجمعت في حيز صغير ، ورغم أن فرضيته كانت توافق النتائج التجريبية التي انتهى إليها الأساتذة « دافسن » و « جرمر » و « طمسن الصغير » M. G. p. Thomson فإن مبدأ « عدم التثبت » uncertainty الذي كشف عنه « هيزنبرج » كان يقف عقبة دون قبول هذا الرأي

فنحن نعلم من نظرية المقدار القديمة أن إطلاق المادة لفوتونات الطاقة يكون كاملاً وكذلك امتصاصها لها ، وأن عملية امتصاص الفوتونات وإطلاقها تسير متقطعة غير متصلة ، وذلك يرجع إلى أن نظرية « ماكس بلانك » Max Planck قامت تستمد كل قوتها من التحولات الدورية periodic في الاهتزازات التي تعين خط شعاع الموجة ، معتبرة هذه التحولات غير مستمرة بل هي وثبات متماثلة متساوية المسافة الفاصلة بينها ، كما أن الزمن الفاصل متساو ، فتكون بناء على ذلك هذه التحولات الدورية راجعة لوحدات ثابتة لا تنقسم اصطلح على تسميتها بثابت بلانك أو H = ه في الرمز الرياضي . فإذا أخذنا موضع النظر الحقيقة التي قررها « جيمس كلارك ماكسويل » James Clearck Maxwell من أن الأمواج أياً كانت تتسع في دوائر باستمرار في كل الجهات ، فكأن موجة ضوئية تصدر من أحد السدم تصل إلى الأرض بعد سنين من صدورها، ورؤيتها تحمل في «علم المقدار على أن مقداراً Quantum أصاب العين ، مع أن المقدار المنطلق من إحدى ذرات السديم يجب أن تتوزع طاقتها على صدر قوس موجتها ، حتى أن السنتيمتر من سطح الأرض الواقع في دائرة شمول الموجة لا يصيبه إلا جزء صغير جداً من المقدار وهذا يستلزم انقسامها وهي لا تنقسم ، وهذا خلف contradiction

ولقد افترض « هيزنبرج » لحل هذا الإشكال أن الأمواج لا تحمل كميات من الطاقة متساوية في صدرها ، إنما تحمل احتمالات متساوية بوجود الطاقة ، متجمعة في إحدى النقط الواقعة على صدر الموجة . والمذكرة التي قدمها « هيزنبرج » في هذا الشأن خريف عام ١٩٢٥م تنطوي على هذا المبدأ الذي يستتر وراءه حقيقة من أهم حقائق الكون الخفية

وقد نجح العلماء من بعد « هيزنبرج » في إثبات هذه الحقيقة وقد كنت أنا من أوائل هذا النفر ، فقد بينت تجاربنا بمعامل البحث الطبيعي في موسكو أننا لو أسقطنا حزمة من أمواج الحرارة على طبقة معدنية من المغناسيوم ، فبطبيعة الأمر سيتطاير عدد

من الكهارب ، وعن طريق قياس سرعة سقوط أمواج الحرارة وعدد الكهارب المتطايرة وعرض الموجة ، أمكننا حساب مسئلة تركز الطاقة فى نقط معينة من صدر الموجة أو توزعها ، وكانت نتيجة هذه التجارب أن الطاقة فى أمواج الحرارة متجمعة فى أجزاء على صدر الموجة ، وبذا تؤثر فى الكهارب التى تصدمها

وإذاً يمكننا أن ننقح رأى « لويس دى بروجلى » ، وأن نفترض مع الأستاذ « أروين شرودنجر » أن الكهربائية فى الذرة ليست مركزة فى نقط معينة من الذرة ، هى الكهارب ، إنما هى موزعة على السواء فى محيط كرة الذرة . وتفسير هذا التوزيع يشكل أهم مسألة فى الطبيعيات الحديثة

§ ٢ : —

لقد كان أثر نظرية المقدار فى تفكيرنا العلمى عن بناء الذرة كبيراً ، إذ لم نعد نعتبر سير الألكترون فى فلكه حول النواة مستمراً بل متوثباً ، ويكون بذلك شكل الذرة الخارجى متعدد الأضلاع نظراً لأن الألكترون يرسم حدود الذرة وثباً فى سيره من حول النواة ، وهكذا نقترب من التصوير الذى وضعه للذرة « جلبرت نيوتون لوس » G. V. Lewes عام ١٩١٦ ، والتى اعتبرت أساساً لبناء الذرة المستقر

وهذا التفكير وضع حداً لذرة « بوهر » وخصوصاً أنه كان يرى المسارعة فى الذرة ، مسارعة الألكترون ترجع لقوانين النشاط الكهربائى — Electrodynamic — الكلاسيكية ، بينما إشعاعات الذرة للفوتونات ترجع لقاعدة « ثابتة بلانك » فى « علم المقدار » . ومن المعلوم لنا عن طريق التجربة أن المسارعة من جهة وإطلاق الذرة للفوتونات من جهة أخرى يمكن أن يخضع لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ولكن ... ذلك إذا بلغت عدد المقادير — ثوابت بلانك — اللانهائية أو قاربتها

هـذا إلى أنه من المتعذر على الباحث فى الدقائق الذرية Sub - Atomic أن يعين مكان دقيقة ذرية وسرعتها فى آن واحد ، فإذا عرف المكان تعذر على الباحث تعيين السرعة ، وإذا عرف السرعة تعذر عليه تعيين المكان ، وقد كان تأثير هذا المبدأ — مبدأ عدم التثبت — كبيراً فإنه هدم ثقة العلماء بالجبرية determinism فى علم الطبيعة غير أنه من المهم أن نلاحظ أن عدم التثبت كان ينعكس فى المقادير الكبيرة إلى نوع من التثبت والحقيقة.

وهذه الحقيقة بجانب أوليات حسابات الاحتمال مهدت السبيل للعلامة « أورين شرودنجر » أن يضع نظرية جديدة فى « علم المقدار » تضافر معه على تحقيقها « ماكس بورن » Max Born و « جوردان » Jordan و « دراك » Dirac وفى هذه النظرية الجديدة لم يعتبر « شرودنجر الإلكترون دقيقة مادية ركزت فيها الشحنة الكهربائية ، إنما اعتبرها شحنة كهربائية موزعة على فلك الإلكترون على السواء ، والتوزيع هنا معناه احتمالى محض ، وقد اختلفت وجهات النظر فى تفسير الاحتمال ، فهو عند شرودنجر ليس فى ساحة فراغية إنما هو فى ساحة رياضية صرفة ، بينما هو عند جوردان وماكس بورن مقياس لالكم واحد أو عدد من الكميات وإنما هو مظهر من قياس عدد لا متناه من الكميات المكنة المنتظمة ؛ أما « دراك » فيرى التوزيع رمزاً symbol ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى إذ يأخذ بالوجهة التى تربط سرعة الإلكترون بمقدار طاقة حركتها

إن فكرة الاحتمال التى دخلت ساحة الطبيعيات الحديثة نبتت من الحقيقة التجريبية فى أنه إذا بلغ عدد المقادير أعنى ثوابت بلانك اللانهائية أو قاربها ، فإن مسارعة الإلكترون وإطلاق الذرة للفوتونات يخضعان لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ومن المعلوم من حسابات الاحتمال أن اتساع الدائرة التى تخضع للاحتمال يؤدى إلى تكييفات حتمية أو شبه حتمية ، وذلك راجع إلى أنه فى حالة اتساع الدائرة تتساوى نسبة مجىء الحادثات واطرادها فى تتابعها . وبيان هذا :

لو افترضنا أن معنا قطعة من النقد ، فهذه القطعة لها وجهان بطبيعتها ، واحتمال مجىء أحد هذه الوجهين معادل لاحتمال مجىء الوجه الآخر . فالحالات الممكنة أعنى المحتملة هنا هى :

١ ، ٢ ز ٢ ، ١

ويكون احتمال هاتين الحالتين بنسبة بعضهما لبعض :

$$ح_{١} ، ح_{٢} = ١ - ح_{١}$$

باعتبار أن الوضع ١ ، ٢ = $ح_{١}$ والوضع ٢ر١ = $ح_{٢}$ فإذا تكررت هذه الأوضاع ن من المرات ، فالحالات الممكنة ثابتة فى التعاقب ويكون وجه احتمال مجىء الوضع $ح_{١}$ راجعاً للمعادلة

$$[ح_{١} - ح_{٢}] ن$$

التى تحدد من إمكان الوضع الأول

وهنا التفاضل بين $ح_{١} - ح_{٢}$ أصغر من الواحد ، فإذا كان

مقدار ء بالغاً الحد الأعظم فإن إمكان الوضعين يقترب من التعادل حتى يساويه فى اللانهائية

واستناداً إلى هذه الفكرة الرياضية المحضة أمكن تفسير غامض انطلاق الفوتونات وتغيير الذرة لموازنتها الكهربائية ، فنحن نعرف أن كهربا ينطلق من الذرة إذا بلغ عدد المقادير اللانهائية وذلك فى صورة متجانسة مع المبادئ الكلاسيكية ، وانطلاق كهرب أو تغييره لفلكه يحدث اختلالاً فى موازنة الذرة ويحدث فى بناء الذرة رد فعل ينجم عنه موازنة جديدة ، لا تأتى إلا بإطلاق مقادير من الطاقات تعرف بالفوتونات . وإطلاق الذرة لهذه الفوتونات يرجع لحلها حالة طقس جديدة تقوم على عدد لانهائى من المقادير . وهذه اللانهائية فى عدد المقادير هى التى تعطى الاطراد فى انطلاق الفوتونات بالنسبة لتغيير الشحنات الكهربائية موازنتها فى الذرة ، لأنه فى الوضع اللانهائى يتساوى كل الحالات الممكنة واطراد انطلاق الفوتونات فى تتابعها

ونفس النظر الاحتمالى فسر مفهوم مبدء عدم التثبت لأن هـذا المبدأ فى أبسط صوره لم يخرج عن استحالة تعيين دقيقة ذرية فى مكانها وسرعتها فى آن واحد ، فإذا أمكن تعيين السرعة استحال تعيين المكان ، وإذا أمكن تعيين المكان استحال تعيين السرعة. ولكن هذه الاستحالة وعدم التثبت سرعان ما ينعكسان — كما قلنا فى المقادير الكبيرة — ولبيان هذا نقول :

إن قطعة النقد المؤلفة من وجهين : وجه عليه رسم الملك ، ووجه آخر عليه الفيئة ؛ ولنرمز إلى الوجه الأول بالرمز (ع ١) ، وللوجه الثانى بالرمز (ع ٢) ؛ فإن إمكان تعيين أحد الوجهين متعادل واحتمال مجيئه متساو بحكم الطبيعة ، فإذا رمينا قطعة النقد عدداً من المرات ، فمن المحتمل فى هذه المرات أن يأتى كل وجه فى دورة واحدة ، كما أنه لا يستبعد أن يأتى أحد الوجهين عدداً من المرات ، ولا يظهر الوجه الآخر إلا مرة واحدة ...

ولكن هذا التخالف سرعان ما يتناقص مقداره ويأخذ فى الاقتراب من الصفر إذا رمينا قطعة النقد ٥٠٠ ألف مرة ، لأنه فى هذه المرات الكثيرة يعطى اتساع المدى تساوياً لتتابع واطراد الأوجه الممكنة ـ التى هى وجهان هنا ـ فيأتى معنا الوجه الذى يحمل رسم الملك ٢٥٠ ألف مرة ، وكذلك الوجه الآخر

ونفس هذا يحدث معنا فى ساحة «علم الذرة» وعلم «المقدار»

ولشرح هذا نقول :

إن المشاهد فى عالم الذرة أن النتيجة التى يخلص بها الباحث من تعيين أوضاع لبنائها غير حتمية ، لأن النتيجة التى يخلص بها الراصد والباحث فى زمن ووضع معين يخرج بغيرها باحث آخر فى غير الوقت والوضع ولو جرت التجربة فى عين الشرائط التى جرت وفقاً لهذه التجربة الأولى . ولو أجريت التجارب عدداً من المرات فعلى عدد هذه المرات تكون النتائج معنا ، غير أن هذا العدد إذا بلغ حداً كبيراً فسنجد أن النتائج الجزئية تعطى وجهاً عاما فى احتمال لا نهائى . وهذا الاحتمال يمكن الباحث من من حساب النتيجة التى تأتى معه فى وضع رياضى ولكن يحمل عنصر اللزوم والحتم فى طياته

وهذا نفس ما يحدث معنا إذا رمينا قطعة النقد مرات فإن النتائج تتباين فى كل رمية ، ولكن هنالك فى اتساع المدى تساوياً فى تتابع واطراد هذه النتائج

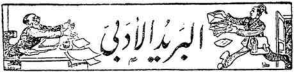
هذه الأوليات تفسر لنا أوجه تفسير « التوزيع » عند كل من (شرودنجر) و (جوردان) و (ماكس بورن) و (ديراك) من وجهتيه الطبيعية والرياضية

§ ٣ : —

لقد انتهى « ديراك » بمباحثه النظرية فى تفسير التوزيع ، إلى أن هذا التوزيع رمز ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى أخذاً بالوجهة السلبية من المعادلة الأساسية لنظرية الكوانتا الجديدة ، أعنى الوجهة التى تربط سرعة الألكترون بمقدار طاقة حركته ، وكان نتيجة ذلك أن انتهى إلى أن هنالك ضربين من الكهارب موجبة وسالبة الشحنة الكهربائية ؛ والكهارب ذات الشحن السالبة من الكهربائية هى الألكترونات ، أما الموجبة فهى وراء تناول مجازيبنا ، فكأنها والخلاء سيان

وامتحان نظرية « ديراك » من الوجهتين الرياضية والفيزيقية عن طريق دراسة تدفق الإشعاع المادى واستناداً إلى معادلتى كلاين Klein و « نشينا » Niskina ينتهى بالباحث ، كما انتهى بنا ، إلى حقيقة فوزيقية مهمة : هى أن الطاقة السالبة، والطاقة الموجبة التى ترتبط بدقيقة الكهربية متساوية ، وأن الاختلاف فى دلالة الإشارة الجبرية على نوع الشحنة، وهذا يؤدى حتما إلى افتراض كهرب موجب الشحنة الكهربائية يقابل الألكترون السالب الشحنة الكهربائية . وهذا التنقيح فى نظرية « ديراك » يجعلنا ننجح حيث فشل غيرنا ، مثل أوبنهيمر Oppenheimer ، ومن الحتم أن نقول إن « لويس دى بروجلى » يوافقنا على هذا التعديل

وقد كشفت المباحث الفيزيقية الأخيرة عن وجود دقيقة



بين الدكتور زكي مبارك وصديق له

رأيت في الرسالة الغراء كلمة وفاء ورثاء يفي بها الدكتور مبارك لفرنسا ، ويرثو لما أصابها . وجميل بالرجل أن يكون وفياً رقيق القلب ، ولا سيما في مثل موقف فرنسا ونكبتها التي حلت بها من انحلال الأخلاق واللهو واللعب مكان الرجولة والتضحية ، كما قال المارشال بيتان ، وهذا من أعظم مواضع الرثاء والأسف

وقد أعجبني من صديقي مبارك أنه متفق مع الجميع في التأثر والألم لما أصاب مدينة النور « باريس الجميلة » فإن لكل متعلم في باريز عهداً لا ينسى ذكراه . وللمدينة الخالدة « باريس » فضل على كثير من الشرقيين والغربيين لا تبلو جدته

غير أني رأيت الدكتور يرد على صديق عاتبه في الإفراط بمحبة فرنسا ، بينما فرنسا الدولة المستعمرة التي أرهق استعمارها عشرات الملايين وإخوان زكي مبارك

ورأيت الرد خلط بين أمرين كان يجب التفريق بينهما

الأول: فرنسا العالمة مبعث النور والحرية ومهد الاختراعات

الثاني: فرنسا المستعمرة بكل ما في معاني الاستعمار من استبداد

وفي الحالة الأولى يجب على كل إنسان أن يحب فرنسا ويرثي لنكبتها

وفي الثانية على كل حر في العالم وكل من ذاق استعباد فرنسا في مستعمراتها ألا يجزع لما حل بها

نعم ، إن الشماتة لا تليق بالرجال ولكن حب الانتقام ، ولا سيما في المظلوم من الغرائز البشرية التي اعترفت بها الشرائع والقوانين ، وهي صفات إذا فقدتها الجماعات والأمم أصابها هذا الانحلال ...

فالإنسانية تتألم لفرنسا والحرية تبكيها ، والأمم التي أصابها ظلم فرنسا تصمت أمام انهيار السياسة الفرنسية ، وتعد انهيارها نذيراً لكل أمة تظلم الإنسانية أيّاً كان مذهبها وملتها

فالأولى بالصديق مبارك أن يفرق بين فرنسا وفرنسا ؛ وعندها ينصف نفسه وينصف من يعتب عليه

« صديق »

مادية ذات شحنة موجبة تقابل الألكترون اصطلح على تقريبها بالبوزيتون . وكان زميلنا العالم الروسي سكوبلتزن Skobelzien أول من انتبه إلى هذه الحقيقة أثناء تصويره مسارات الأشعة الكونية Cosmic Rayo عن طريق ما تتركه من الأثر في المسار الذي تسلكه خريف عام ١٩٢٩ . وكانت تجارب الأساتذة : أندرسون Anderson وبلاشيت Blachett وأشياليني Occhialini في الذرة المتهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية قد انتهت لحقيقة تجريبية في أن كتلة هذه الذرات المتهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية تعادل كتلتها في حالتها الأولى. وقد تبيّن خلال هذه التجارب أن هنالك خطوطاً مزدوجة أحدها منحرف لليمين والآخر لليسار ، أعني أن أحدهما موجب والثاني سالب ، وتبين من مباحثهم أن الخط الموجب هو صنو للالكترون نظراً لأن الخط السالب هو الإلكترون نفسه ، وأن كتلة الدقيقة الموجبة معادلة لكتلة الدقيقة السالبة ، فكأن البوزيتون صنو الإلكترون وليس البروتون هو صنوه

ونحن نعلم من نظرية « نيلز بوهر » العالم الدانمركي أن النوية في الذرة تعادل كتلتها كتلة الذرة وأنها مكونة من بروتونات ، غير أن الميكانيكا الموجبة وتجارب « دمبستر » A. J. Dempster يثبت أن البروتون لم يخرج عن كونه موجة كهربائية ولكنها ليست مركزة في قلب الذرة كما ارتأى « دي بروجلي » وإنما هي موزعة توزيعاً رياضياً في كرة الذرة الداخلي

هذه الحقيقة التي تنسجم مع المبادئ النظرية في الفوزيقا الحديثة لها ما يسندها في عالم التجربة ، وقد كان لي عام ١٩٣٣ فكرة في أن كرة الذرة الداخلية متوزعة فيها الشحنة الموجبة توزيعاً رياضياً ، وأن هذه الشحن تتجمع في بعض النقط ، وهذه النقط هي الإلكترونات الموجبة أو البوزيتونات حسب الاصطلاح الحديث

وفي مستهل عام ١٩٣٨ حملت إلي أنباء التجارب العلمية الحديثة أن البروفسور سكوبلتزن قد نجح في تخليص بيروتونات من تيار من البوزيترونات تحت ضغط عال ، فإذا صح هذا ، فسيكون معنا في الذرة لبنتان أساسيتان ـ الألكترون والبوزيتون وهكذا يتحقق معنا الفرض القديم الذي قلت به منذ خمس سنوات في مذكرتي إلى معهد الطبيعيات الروسي ، وهي أن الذرة مكونة من موجتين : ذات شحنة موجبة وذات شحنة سالبة ، وأن هاتين الموجتين في توزيعهما الرياضي في عالم الذرة يخلقان لنا ذلك الشيء الذي نصرف إليه اصطلاح الذرة

اسماعيل احمد أدهم

من الأستاذ القاياتي الى الدكتور عزام

أرسل الأستاذ السيد حسن القاياتي إلى الدكتور عبدالوهاب عزام هذين البيتين على أثر قراءته كتاب « رحلات » :

ظمئت لفصاحة لب القسيم وعدت لتكتب رأى الحكيم
بيانك والشرق أغلاها جمال الجديد ونبل القديم

حسن القاياتي

المقنع لأبي عمرو الداني

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي عصري ابن حزم المتوفى سنة (٤٤٤) إمام من أئمة علم القرآن ، وله فيه تصانيف كثيرة منها (التيسير) ، وهو اليوم أقدم مرجع للبحث في القراءات السبع . وكتابه « المقنع » أقدم مرجع في رسم القرآن وكتابته ، (والنقط) في نقطه وإشاراته ، وكان بعض المستشرقين قد نشره ونشرت ترجمته إلى اللسان الفرنسي — فأعاد الأستاذ المحقق الشيخ محمد أحمد دهمان نشره مقابلاً على ثلاث نسخ مخطوطة قديمة بتحقيق وعناية وطبعه على ورق جيد جداً ، قلما يطبع على مثله كتاب: فلما بلغ إلى المقدمة التي أعدها وهي تبلغ ثلث الكتاب (الكتاب مع فهارسه يقع في ١٨٠ صفحة) لم يجد في السوق من هذا الورق وكره تشويه الكتاب بتنويع ورقه فأرجأ نشرها إلى طبعة أخرى ، ولعله ينشرها في الرسالة مستقلة أو مختصرة

والأستاذ « دهمان » مؤسس مكتب الدراسات الإسلامية في دمشق ، وقد نشر كتباً قيمة منها : « كتاب النشر في القراءات العشر » ـ وهو أول من نشره ـ و « البدع والنهي عنها » لابن وضاح وهو أقدم كتاب في موضوعه ، و « سنن الدارمي » وغيرها

ونحن نشكر للأستاذ جهده وننبه المشتغلين بهذا الفن إلى صدور هذا الكتاب القيّم « ع . ط »

للتاريخ ـ لماذا هزمت فرنسا ؟

أذاع المارشال بيتان البيان الآتي :

أيها الفرنسيون في فرنسا وفيما وراء البحار ، أخاطبكم اليوم لأوضح لكم الأسباب التي دعتنا إلى عقد اتفاقيتي الهدنة الأولى مع ألمانيا منذ ثلاثة أيام والثانية مع إيطاليا أمس

إن الأمر الذي يجب التنويه به قبل كل شيء هو الوهم الخادع الذي بنت عليه فرنسا وحلفاؤها آمالهم بشأن قواتهم العسكرية الحقيقية وأثر السلاح الاقتصادي وحرية البحار والحصار والموارد التي كانوا يستطيعون الحصول عليها . فاليوم ـ كما في الأمس ـ لا تكسب الحرب بواسطة الذهب والمواد الأولية فقط . إن النصر يتوقف على القوات والمعدات وكيفية استخدامهما . وقد دلت الحوادث على أن ألمانيا كانت متفوقة في هذا الميدان في مايو سنة ١٩٤٠ تفوقاً ساحقاً كنا لا نستطيع أن نواجهه عند ما دارت رحى المعركة إلا بعبارات التشجيع والأمل

وقد انتهت معركة الفلاندر بتسليم الجيش البلجيكي وسط القتال ومحاصرة الفرق الإنجليزية والفرنسية . وقد قاتلت هذه الفرق الأخيرة قتال الأبطال ، وكانت مؤلفة من خيرة قوات جيشنا . وبالرغم من مقدرتها لم نتمكن من إنقاذ جانب من رجالها إلا بالتخلي عن معداتها . ودارت المعركة الثانية على نهري الأين والسوم ، وللثبات في هذا الخط قاتلت ٦٠ فرقة فرنسية لا تحميها التحصينات ولا تؤيدها الدبابات — تقريباً ١٥٠ فرقة ألمانية من فرق المشاة و ١١ فرقة من الفرق المصفحة . فاخترق العدو خطوطنا في بضعة أيام ، وجمل قواتنا أربعة أجزاء واجتاح القسم الأكبر من الأراضي الفرنسية ، وكانت ألمانيا في حكم المنتصرة عندما دخلت إيطاليا الحرب ، وأقامت ضد فرنسا جبهة جديدة صمد لها جيش الألب . وعندئذ اتخذ نزوح اللاجئين شكلا يفوق ما يتصوره العقل ، فقد انضمت عشرة ملايين من الفرنسيين إلى مليون ونصف مليون من البلجيكيين وأخذوا يتدفقون على مؤخرة جبهتنا في أحوال اختل فيها النظام وسادها بؤس لا يوصف

وابتداء من ١٥ يونيه اجتاز العدو نهر اللوار وانتشر في بقية أنحاء فرنسا . فأمام مثل هذه المحنة كان يجب أن تكف مقاومة الجيش ، وكان على الحكومة أن تختار بين أحد أمرين : إما البقاء في مكانها أو مغادرة البلاد . فتداولت في الأمر وقررت البقاء في فرنسا للمحافظة على وحدة شعبنا وتمثيله أمام العدو ، ذلك لأنها رأت أن واجبها في مثل هذه الأحوال يقضي بالحصول على هدنة مقبولة باستثارة روح الشرف والعقل لدى العدو . وقد عقدت الهدنة وانتهى القتال . وفي يوم الحداد الوطني هذا تتجه أفكاري إلى جميع القتلى ، وإلى جميع أولئك الذين تألموا في أجسادهم وعواطفهم من جراء هذه الحرب . إن تضحيتهم قد احتفظت بسمو علم فرنسا وطهارته فهم لا يزالون أحياء في ذكرياتنا وقلوبنا

أما الشروط التي اضطررنا إلى قبولها فهي قاسية . فسيحتل



جنـــدي مرابط

للأستاذ محمد سعيد العريان

« راجح ! حبيبي ! أرجوك . . . إن العدوّ لا يرحم ، ولا يعفو ؛ فلا ترمِ بنفسك إليه ... احرص على حياتك من أجلي يا حبيبي ! عِش لي ، أوْ لا ، فاقتلني واسدِل بيديك أجفاني قبل أن أرى فيك مصارعَ أهلي وأهلك يا راجح ! »

كانت « بدرية » تتحدث إلى فتاها وقد أمسكت بيديه ، ورفعت إليه عينين مخضلّتين بالدمع وفى صوتها نبرة يأس وأسى . كانت موقنة بأنه لن يستمع إليها ، ولن يجيب ؛ ولكن جذوة الحب التى تؤج فى صدرها كانت تبعث فى نفسها أثارةً من الرجاء !

واستمع إليها الفتى صامتاً وفى قلبه عواطف تصطرع ، وفى رأسه خواطر تموج وتتدافع ؛ وأوشك أن ينتكث عزمه ، حين التقت عيناه بعينيها الدامعتين وأحسّ شدّ يديها على يديه كأنما تخشى أن يفر إلى أجله قبل أن تلقى إليه كلمة الوداع !

وبرز القمر من خلل أعذاق النخيل ، فألقى شعاعه على وجه الفتى والفتاة جالسين مجلسهما على مقربة من مضارب الحيّ ، وقد سكن كل شىء منهما ومما حولهما ، إلا قلباً يجف وأنفاساً تتردّد . . .

وثابت إلى الفتى نفسه حين أذكرته صاحبته مصارع أهلها وأهله ؛ لقد كان موشكا أن يخور وتضعف عزيمته ، ولكن ذكرى أهلها ، وأهله ... ووطنه ... قد ردّته إلى رأيه ، فأفلت من يدى صاحبته ووقف ، وهتف :

« نعم ... ولكنّ دم آبائى يا بدرية ، ودم أبيك ، وشرف الوطن ... يناديني ؛ لقد أقسمتُ أن أنتقم أو أموت، وسأنتقم، أو أموت ... ويومئذ ألقى آبائى ، وآباءك ، رافع الرأس فخوراً بما بذلت لأهلي ووطني ، من دمي ... ! »

جزء كبير من أراضينا مؤقتاً وتقيم ألمانيا حاميات فى شمال بلادنا وغربه من بحيرة جنيف حتى تور ثم على طول الساحل من تور ، حتى جبال البيرينيه . ويجب أن تسرح جيوشنا وأن تسلم معداتنا وتحصيناتنا وأن يجرد أسطولنا من سلاحه فى موانينا . وستجرد القواعد البحرية من سلاحها فى البحر الأبيض المتوسط

أما الشرف فلا يزال سليما . فلن يستخدم أحد طائراتنا ولا أسطولنا . ونحن نحتفظ بالوحدات البرية والبحرية اللازمة للمحافظة على النظام فى فرنسا ومستعمراتها ، وستظل الحكومة حرة ولن يدير شؤون فرنسا إلا الفرنسيون

لقد كنتم على استعداد لمواصلة القتال — إنى أعلم ذلك — ولكن الحرب كانت لا محالة خاسرة فى فرنسا

لا تنتظروا كثيراً من الدولة فهى لا تستطيع أن تعطى إلا ما تتلقاه . اعتمدوا فى الوقت الحاضر على أنفسكم وفى المستقبل على الأبناء الذين ستربونهم ؛ وعلينا أن نجدد فرنسا ، فأظهروها للعالم وهى ترقب خصمها وتعمل فى هدوء وكرامة . لقد أتت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح اللذات واللهو ما شيدته روح التضحية ، فإنى أدعوكم قبل كل شىء أن تنهضوا بأخلاقكم . أيها الفرنسيون ، إنكم لقادرون ، وإنى أقسم لكم أنكم سوف ترون فرنسا جديدة تنبعث من حرارة إيمانكم

رد الجنرال دى جول على بيتانه

قال الجنرال دى جول فى إذاعة له رداً على بيان المرشال بيتان :

« فى ساعات الخجل والغضب هذه ، يجب أن يرتفع صوت واحد للرد عليك

« لقد ضربت فرنسا بقوات العدو الميكانيكية ، فإذا كانت فرنسا لا تملك هذه القوات الميكانيكية ، فغلطة من هذه ؟

« لقد كنت ترأس هيئاتنا الحربية بعد انتهاء الحرب فى عام ١٩١٨ ، وكنت قائداً عاماً حتى سنة ١٩٣٢ ، وكنت وزيراً للحربية فى عام ١٩٣٥ ، وكنت أكبر شخصياتنا العسكرية . ولكنك لم تطلب أبداً إدخال الإصلاح اللازم لهذا النظام البالى

إن قبول العبودية لم يكن يتطلب بطل فردون ، بل أى إنسان كان يستطيع عمل هذا . إنك رفضت موارد الإمبراطورية البريطانية والمساعدة الأمريكية الكبيرة ، وقد لعبت لعبة فاشلة وألقيت بالأوراق وكأنه لم يبق فى أيدينا أية ورقة نافعة

كيف تنتظر من فرنسا النهوض مرة أخرى وهى تحت أحذية الألمان الثقيلة وأحذية الرقص الإيطالية ؟

« ألا إن فرنسا ستنهض مرة أخرى فى الحرية والنصر

« إن أسلحتنا منضمة إلى أسلحة حلفائنا ستعود بالنصر ، وسنعيد خلق فرنسا ... »

وراح يدبّ على رمال الصحراء ، تحت ضوء القمر ، وبندقيته على كتفيه ؛ لم يحاول أن ينظر إلى وراء فيودّع الفتاة التي كان كلّ شيء في دنياها وكانت ؛ ومضى ليجيب داعي الوطن !

* * *

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ، حين زحفت الجنود المغيرة من مربضها الذي ترابط فيه منذ سنوات على ساحل برقة ، تحاول أن تبسط سلطانها على الجنوب كما بسطته على الشمال لتعيد مملكة الرومان في جوف الصحراء وتنشئ لها عرشها من جريد النخل في ظلال أغصان الزيتون ...

واصطرعت قوتان ، أما إحداها فكانت تملك الحديد والنار وفي يدها السيف والذهب ، وأما الأخرى فكانت تملك الإيمان بالله ، والإيمان بالوطن ... وترامى الفريقان بنبالهما ، وسال الدم ، وعقد الدخان ضبابة سوداء فوق رءوس المعسكرين ، ودارت رحى المنون !

وانتبه الفتى والفتاة من سكرتهما وحيدين قد فقدت أباها وفقد أباه وعمه ؛ فأقسم من يومئذ قسمه وأبرم عزمه ...

... وخلف الفتاة في الحي تنتظر مآبه !

* * *

لم تهدأ ثائرة البادية حين خيل للفاتح المغيرأن قد غلب وتسلط ، ولكن جمرات تحت الضلوع تبص بصيصها ثم تختنق ، ولا تخبو

وقاد « راجح » فرقته الصغيرة فمضى بها حتى أوى إلى غار في طريق الرائد والسابل والقافل ، يتربص على حذر ورقبة ؛ فما يمر به وليّ ولا عدوّ إلا عرّفه نفسه وخيّره بين عاقبتيه ...

وشرى أمرُ الفتى وعزّ جنده ، ووفدت إليه الوفود من أبناء البدو وأفلاذ الصحراء مذعنة لأمره مطيعة ، وعقدوا له اللواء ؛ وحار العدو حيرته فما عرف سبيلاً إليه ولا منجاة منه ، وإن له المدد والقوة والعتاد !

وترامت أخبار الفتى إلى فتاته ، فرفعت عينيها إلى السماء تدعو الله مشفقة راجية !

وبثّ العدوّ سراياه بين الكهوف والوديان يطلب أثره ويلتمس غرّته ، وراحت الدبابات تطأ الأخبية وتجوس خلال الديار ، وحلقت الطيارات تقذف اللهب وترمي بالصواعق ، ومضت الكتائب المكتّبة تحاصر القرى وتقطع الطريق ؛ وانكشف المخبأ ، ونشبت المعركة في ضوء الصبح ؛ وكان ما لا بد أن يكون ، وأمعن العدوّ قتلاً ومُثلة حتى بلغ مبلغه ؛ وتبدد الجيش الصغير الباسل وتقسمته بطونُ الأرض أشلاء وجماجم ...

وحلقت طيارات الجيش الظافر ترسل تحيتها إلى القرى المغلوبة قذائف من جماجم بنيها الشهداء ؛ ولبس الحدادَ شعب بأسره ؛ وأحدّت « بدرية » على فتاها كما أحدّت على أبيها وأهلها من قبل !

* * *

وفي بيت من الشَّعر إلى جانب الصحراء في غرب الإسكندرية ، رأيت بدرية منذ ثلاث سنين ...

كنت أصطاف يومئذ هناك ، وكان بيتها على مقربة ، فإنها لتغدو عليّ وتروح كل يوم لحاجتها بين السوق والبيت ؟ فأراها ...

لم أكن أعرف شيئاً عن ماضيها ، ولم يحدثني أحد بخبرها وإنها لواحدة من كثيرات من الأعراب قد ضربن خيامهن هناك ؛ ولكن مرآها كان يثير في نفسي فضولاً عجيباً ؛ فما أكاد ألحظها قادمة من بعيد حتى تطيف بي خواطر وأسئلة لا أجد في نفسي جوابها ؛ فأتبعها عيني حتى تغيب ...

كانت بزيّها ، وعينيها ، وشفتيها المطبقتين أبداً على ابتسامتها العابسة – تمثالاً صامتاً يرمز إلى أبلغ معاني الوحشة واليأس والحرمان ، حتى لا يملك من يراها إلا أن يتخشع ويصمت ؛ وكان لها جمال ، وفي عينيها وداعة ، وعلى جبينها طهر ؛ وعلى أنها فيما تبدو لمن يراها جاوزت الأربعين فقد كان لها روح الطفل وخفته

... وعرفتُ خبرها من بعد ، فأعظمتُ وفاءها ، ورثيت لها .

* * *

لقد مضت بضع عشرة سنة ، منذ تلك الليلة التي خلّفها راجح ومضى لأمره يحاول أن يثأر لقومه ؛ ولكنها ما تزال بعدُ كأنها منه على ميعاد ، وكأنما كان ما كان منذ أيام . لم يزدها مرُّ السنين وحادثاتُ الليالي ، وفراقُ الوطن ، إلا وفاء لذكراه

وجَلَتْ عن أرضها مكرهة فيمن جلا من عمومتها وبني أبيها ، ولكن قلبها بقي هناك ، حيث وقفت لآخر مرة تتبعه عينيها وهو ماض لأمره تلفّه ريح الصحراء في الليل القر !

وقنعتْ بذكراه عن الأمل في لقياه منذ جاءها النبأ الفاجع ! ونذرت نفسها للوفاء بعهده ، فلم تتزوج ، ولم تخلع الحداد !

ونسيتْ ما كان من ماضيها ومن أيامها ، إلا صورته وذكراه ؛ وتأيّمت العذراء ولما تخلعْ أبراد الشباب !

* * *

وكانت بدرية فى فراشها حين دوّتْ صفارةُ الإنذار لأول مرة فى الإسكندرية ، تنذر أهلها ليأخذوا أهبتهم للكفاح ؛ وأشرق الصبح وقد هجر المدينةَ نصفُ أهلها فراراً من الموت ؛ فحملتْ بدرية متاعها ومضتْ مع الناس تلتمس سبيلاً إلى النجاة !

يا رحمتا للمسكينة مما يطاردها من أحداث الليالى !

وأعياها السير ، فحطّتْ متاعها عن كاهلها وجلست تستريح على حيد الطريق ، حين مرّ بها فوجٌ من الجند فمدّتْ عينيها تنظر ...

ونظرتْ ، فعرفت ، فهتفت ...

ولكن هتافها تلاشى فى ضجة الناس وزحمة الطريق ؛ ومضى الجنـد ومضت تعدو فى آثارهم وتركت متاعها تتقاذفه أقدام السابلة ...

وانقطع بها الطريق فما بلغتْ ولا بلغ صوتها إلى من يَسمع ، وكأنما كانت تنادى مُنادًى من التاريخ يفصلها منه بضعة عشر عاماً من عمر الزمان !

وهامت المسكينة على وجهها ذاهلة لا تكاد تعى شيئاً مما ترى أو تسمع ، ليس لها هدف فيما تسعى ولا غاية إلى ما تسير !

وأعيتْ بعد جهد فسقطت فى الطريق لا حسّ ولا حركة ولا حياة ؛ ثم أفاقت لتسأل نفسها ويسألها الناس فلا تجد الجواب !

وتتابعت على عينيها ذكريات المـاضى يوماً يوماً منذ كانت حتى صارت ؛ ونظرت يمنة ويسرة ، ثم انطلقتْ تعدو ... !

* * *

وعرفتْ بعد لأْى أين تقصد ، فمضت فى طريقها ...

... والتقى فى خيمة الضابط المشرف على فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء شخصان لم يلتقيا منذ بضع عشرة سنة ، أما أحدهما ففتاة فى الأربعين قد تقنعت بلفاع أسود حائل ، وعليها ثوب أسود مرقوع ، وترف على شفتيها ابتسامة لم تنفرج عن مثلها شفتاها منذ سنين . وأما الآخر فرجل أشمط مخدّد الوجه فى جبينه شجّة ملمومة ، يلبس حلة عسكرية وعلى رأسه طربوش بدوى غليظ يكبس أذنيه ويتدلى زره على قفاه ...

وقالت الفتاة : راجح ! ...

وغصت بريقها وتسابقت بوادرها على خديها !

وقال الرجل : لم أكن أظن يا بدرية !

وكان الضابط جالساً إلى منضدة فى صدر الخيمة يسمع وينظر ويبتسم ابتسامة الغبطة والرضا !

وعادت بدرية تقول : راجح ... !

وربت راجح على كتفيها وهو يبتسم ، وقال : لا تخشى بعد اليوم شيئاً يا بدرية ؛ لن نفترق بعد ؛ لقد دنا اليوم الذى أرتقب يا عزيزتى من زمان ، لأغسل الدم بالدم ، وأنتقم ؛ فنعود أعزّةً إلى الوطن الذى أُكرهنا على هجرانه ، ويومئذ ...

وطأطأت بدرية رأسها من حياء ، واسترجعت أمانى عاشت بها حيناً وعاش فتاها ؛ وسرحا بأفكارهما إلى بعيد ؛ إلى حيث كانا يلتقيان كل مساء تحت ضوء القمر فى ظلال النخيل القائمة على مقربة من بيوت الحى ، يتساقيان المنى ويتناجيان نجوى الشباب ؛ وابتسم ، وابتسمتْ ...

ودوى بوق المعسكر يدعو فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء إلى نَوبتهم فى العمل ؛ فهب راجح واقفاً ومضى إلى واجبه ، تتبعه عينان تفيضان بالحب والحنان ، ولسانٌ يُخافت بالنجوى والدعاء !

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }